

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَصَصُ النَّبِيِّينَ

اجزاء الرابع

تأليف

أبو الحسن علي بن الحسين الندوي

مجلس نشریات اسلامیہ

۱۔ کے۔ ۳۰ ناظم آباد میٹن - ناظم آباد راجہ کراچی ۴۶۰۰

قَصْرُ النَّبِيِّ

الجزء الرابع

تأليف
أبو الحسن علي بن الحسين الندوي

مجلس نشریات اسلامیہ

۱-کے۔ ۳۔ ناظم آبادیشن ۰ ناظم آباد ۱ ۰ کراچی ۱۸

الحقوق محفوظة للناسر

پاکستان میں جملہ حقوق طباعت و اشاعت

بمق فضل ربی ندوی محفوظ ہیں

لہذا کوئی فسر دیا ادارہ ان کتب کو شائع نہ کرے

ورنہ ان کے خلاف قانونی کارروائی کی جائے گی

نام کتاب	قصص النبیین (چارم)
تصنیف	ابوالحسن علی الحسنی ندوی
طباعت	احمد برادرزیر نٹرز۔ کراچی
اشاعت	۶۲۰۰۸
صفحات	۸۴ صفحات
	ٹیلیفون
	۶۶۰۱۸۱۶

اشاکٹ: مکتبہ ندوۃ قاسم سینٹر اردو بازار کراچی

فون ۲۶۳۸۹۱۶

ناسر

فضل ربی ندوی

مجلس نشریات اسلام کے ۳۔ ناظم آبادیشن ناظم آباد کراچی ۲۶۳۸۹۱۶

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى .
 أما بعد ، فإن كاتب هذه السطور يَحمدُ اللهَ على
 أنه وفقه ليعود إلى سلسلة « قصص النبئين للأطفال » ،
 بعد فترة طالت مدة ثلاثين سنة ، فقد كانت بداية
 هذه السلسلة في سنة ١١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م ، وإتمامها على
 الجزء الثالث المشتمل على قصة سيدنا موسى - عليه
 وعلى نبينا الصلاة والسلام - في سنة ١١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م ،
 ثم شغل المؤلف بأعمال كتابية تأليفية أخرى ، ورحلات
 طويلة متواليه ، صرّفته عن إتمام هذه السلسلة التي
 رزقها الله قبولاً عظيماً في حلقات التعليم والمدارس الشعبية
 والحكومية في شبه القارة الهندية والبلاد العربية ،
 وصدرت لها طبعات في القاهرة وبيروت .

وألحَّ بعض رجال التعليم والتربية وقادة الفكر

على إتمام هذه السلسلة بقصص من بقي من الأنبياء
 بعد سيدنا موسى ، وإكمالها بقصة خاتم النبيين صلوات
 وسلامه عليه ، فهي مسك الختام ، ونهاية المطاف ، ورأوا أن
 هذا العمل أفضل وأجدى من كثير مما يشغل المؤلف
 ومن الموضوعات التي يعالجها ، وكان المؤلف يشعر في
 بعض الأحيان بأن الأمر ما عاد سهلاً له ، لبعده العهد
 به ، وأنه يصعب عليه أن ينزل إلى مستوى الأطفال
 وأسلوبهم واللغة التي يفهمونها ، ولكن الله يسره هذه
 المهمة ، فوضع الجزء الرابع في شهر رمضان سنة
 ١٣٩٥ هـ ، وهو الذي بين يدي القراء ، ثم وفقه الله
 لوضع الجزء الخامس المشتمل على السيرة النبوية على
 صاحبها الصلاة والسلام ، وسيلى هذا الجزء إن شاء
 الله ، والحمد لله الذي بعثته وجلاله تتم الصالحات ،
 والصلاة والسلام على خير خلقه محمد بن عبد الله عليه السلام .

أبو الحسن علي الحسيني البغدادي

والسلامة لاندوة العلماء - لكرنو (الهند)

١٦ / شوال سنة ١٣٩٦ هـ

التَّبْيَهُ

نرى في هذه القراءات الانتباه للرموز التالية
أثناء قراءتهم لهذا الكتاب .

الحركات في الحروف المشدّدة تكون مع التشديد،
فمثلاً: الفتحة في التشديد تكون فوقه، كما تراها
فوق حرف « الصاد » في كلمة « قِصَّة ». والكسرة تكون
تحت التشديد، كما تراها في كلمة « سَيِّد ». والضمة
تكون فوق التشديد، كما تراها على حرف « اللّام » في
كلمة « كُلُّ » في جملة « هُوَ كُلُّ مَا حَكَاهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ » .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



قِصَّةُ سَيِّدِنَا سَعِيدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

١- نَظَرَةٌ عَلَى الْقِصَصِ السَّابِقَةِ

قَرَأْتُمْ قِصَّةَ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَ سَيِّدِنَا يُوسُفَ ، وَقَرَأْتُمْ
 قِصَّةَ سَيِّدِنَا نُوحٍ وَ سَيِّدِنَا هُودٍ وَ سَيِّدِنَا صَالِحٍ ، قَرَأْتُمْ قِصَّةَ
 سَيِّدِنَا مُوسَى فِي شَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ وَ التَّطْوِيلِ ، قَرَأْتُمْ كُلَّ
 ذَلِكَ بِشَوْقٍ وَ رَغْبَةٍ ، وَ إِجْلَالٍ وَ تَقْدِيرٍ ، وَ حَلَّتْ فِي
 نُفُوسِكُمْ وَ قُلُوبِكُمْ مَحَلَّةُ الْقِصَصِ الْحَبِيبَةِ الْأَثِيرَةِ ، وَ وَعَتْهَا
 ذَاكِرَتُكُمْ ، وَ دَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُكُمْ ، وَ قَدْ رَأَيْتُمُ النَّاسَ تَخْكُونَهَا
 لِإِخْوَتِكُمُ الصَّغَارِ ، وَ تُرَدِّدُونَهَا لِلْأَبْوِينِ وَ الْإِخْوَةِ الْكِبَارِ ،
 وَ أَنْتُمْ تَتَذَوَّقُونَهَا ، وَ قَدْ تَتَحَمَّسُونَ فِي حِكَايَتِهَا .

٢- قِصَّةُ صِرَاعٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ

وَ لَا غَرَابَةَ ؛ فَإِنَّهَا قِصَّةٌ شَائِقَةٌ مُثِيرَةٌ ، وَ إِنَّهَا قِصَّةُ
 صِرَاعٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ ، وَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَ الْجَهْلِ ، وَ بَيْنَ التُّورِ

وَالظَّلَامِ ، وَبَيْنَ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْوَحْشِيَّةِ ، وَبَيْنَ الْجَزْمِ وَالْيَقِينِ ،
وَالظَّنِّ وَالْتَّخِينِ .

شُرَّ إِنَّهَا قِصَّةُ انْتِصَارِ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ ، وَالْعِلْمِ عَلَى
الْجَهْلِ ، وَالضَّعِيفِ عَلَى الْقَوِيِّ ، وَالْقَلِيلِ عَلَى الْكَثِيرِ ، قِصَّةٌ
فِيهَا عِلْمٌ وَحِكْمَةٌ ، وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ ، وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ :
« لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ، مَا كَانَ حَدِيثًا
يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ
شَيْءٍ وَوَعْدَى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . »

٣- وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا

وَلَيْسَ مَا حَكَيْنَاهُ لَكُمْ مِنْ قِصَصِ النَّبِيِّينَ ، هُوَ كُلُّ مَا
حَكَاهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِنْ قِصَصِهِمْ وَحِكَايَاتِهِمْ ، فِي الْقُرْآنِ
قِصَصٌ غَيْرُ هَذِهِ الْقِصَصِ .

فِيهِ قِصَّةُ نَبِيِّ اللَّهِ شُعَيْبٍ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى
مَدِينِ وَأَصْحَابِ الْأَيْكَةِ ، وَهُمْ أَصْحَابُ تِجَارَةِ وَسِيلَجٍ .
فَقَدْ كَانُوا عَلَى الْجَادَةِ التِّجَارِيَّةِ الْكَبِيرَةِ بَيْنَ الْيَمَنِ وَالشَّامِ

وَبَيْنَ الْعِرَاقِ وَمِصْرَ، عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ.
 كَانُوا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ غَيْرَهُ، كَمَا كَانَتْ أُمَّمُ الْأَنْبِيَاءِ فِي كُلِّ
 عَصْرٍ، وَكَانُوا - زِيَادَةً إِلَى ذَلِكَ - يَنْقُصُونَ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ،
 وَيُطَفِّفُونَ فِي الْكَيْلِ، وَيَتَعَرَّضُونَ لِلْقَوَافِلِ، فَتَتَوَعَّدُ وَنَهَا
 وَيُخَيِّفُونَهَا، وَيَعِيشُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، شَأْنَ الْأَغْنِيَاءِ
 الْأَقْوِيَاءِ، الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا وَلَا يَخْشَوْنَ عَذَابًا.
 قَبَعَتِ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رَسُولَهُ شُعَيْبًا يَدْعُوهُمْ وَيُنذِرُهُمْ،
 وَيَقُولُ لَهُمْ: «يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ
 وَلَا تَتَّقُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ
 عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُ بِهِ» وَيَقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ
 بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْمُوا فِي
 الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ».

٤- دَعْوَةُ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَيَبْسُطُ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ وَيَحُلُّ عُقْدَةً فِي نَفْسِهِمْ،
 وَهِيَ عُقْدَةُ حُبِّ الْمَالِ وَالزِّيَادَةِ، فَيَقُولُ:

إِنَّ مَا يَفْضَلُ لَكُمْ مِنَ الرِّيحِ بَعْدَ وَفَاءِ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ
 خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالظُّلْمِ وَالْخِيَانَةِ ، وَ إِذَا
 نَظَرْتُمْ فِي حَيَاتِكُمْ وَفِي حَيَاةِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَشْرَوْا وَجَمَعُوا
 الْأَمْوَالَ ، وَجَدْتُمْ أَنَّ مَا اكْتَسَبُوهُ عَنِ طَرِيقِ التَّطْفِيفِ
 وَالْبَخْسِ وَالْخِيَانَةِ ، كَانَ مَصِيرُهُ إِلَى التَّلْفِ وَالضِّيَاعِ ، أَوْ
 الْفَسَادِ وَالْبَلَاءِ ، فَسُرِقَ أَوْ نُهِبَ ، أَوْ أُنْفِقَ فِي غَيْرِ مَا يُرْضِي
 اللَّهَ ، أَوْ سُلِّطَ عَلَيْهِ مَنْ أَتْلَفَهُ وَعَبَثَ بِهِ ، وَالْقَلِيلُ
 الَّذِي يَنْفَعُ خَيْرٌ مِنَ الْكَثِيرِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ : «قُلْ لَا يَسْتَوِي
 الْخَيْثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثِ
 وَتَصِيحَاتِي لَكُمْ خَالِصَةٌ مُخْلِصَةٌ ، وَاللَّهُ هُوَ الرَّقِيبُ
 عَلَيْكُمْ . وَخَدَهُ . يَقُولُ فِي رَفْقٍ وَحِكْمَةٍ وَعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ :
 «بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمَحْفِظٍ

٥ - أَبٌ رَحِيمٌ وَمُعَلِّمٌ حَكِيمٌ

وَيَتَنَوَّعُ لَهُمْ فِي الْخِطَابِ ، وَيَتَفَنَّيْنَ فِي النَّصِيحَةِ ،
 شَأْنَ الْأَبِ الرَّحِيمِ وَالْمُعَلِّمِ الْحَكِيمِ ، فَيَقُولُ ،

وَيَقُومُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُمْ
 بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ
 أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَلِكُمْ
 خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ
 وَتَعْبُدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا
 وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ ۗ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الْمُفْسِدِينَ ۝٥٠

٦- جَوَابُ قَوْمِهِ

وَقَدْ دَقَّقَ أَذْكَيَاؤُهُمْ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ وَتَعْلِيلِهَا
 وَقَالُوا فِي تَبِيهِ وَزَهْوٍ، كَأَنَّهُمْ اكْتَشَفُوا سِرًّا أَوْ فَكُّوا لَفْظَةً :
 وَيُسْتَفِيدُ أَصْلَابُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَبْعُدُ آبَاؤُنَا
 أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمُولِنَا مَا نَشَاءُ ۚ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ۝

٧- شُعَيْبٌ يَشْرَحُ دَعْوَتَهُ

وَتَلَطَّفَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ، فَلَمْ يَفْسُدْ وَلَمْ يَفْضَبْ ،

وَأَفْهَمَهُمْ أَنَّهُ مَا حَمَلَهُ عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَةِ وَالنَّصِيحَةِ بَدَّ صَمْتِ
طَوِيلٍ وَعَدَمِ تَعَرُّضٍ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ أَخْلَاقٍ فَاسِدَةٍ
وَتَصَرُّفَاتٍ جَائِزَةٍ، إِلَّا مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ أَحْيَرًا: بِالنُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ
وَمَا شَرَحَ لَهُ صَدْرُهُ وَأَتَاهُ نُورًا مِنْ عِنْدِهِ .

وَأَنَّهُ لَا يَنْجِيهِ عَلَى ذَلِكَ الْحَسَدُ ، فَقَدْ أَعْنَاهُ اللَّهُ وَرَزَقَهُ
حَلَالًا طَيِّبًا ، وَأَنَّهُ بِذَلِكَ سَعِيدٌ ، هَنِيءُ النَّفْسِ ، رَحِيحُ
الْبَالِ ، شَاكِرٌ لِلَّهِ تَعَالَى بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ .

ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَنْهَاهُمْ عَنِ أَمْرِ وَيَرْتَكِبُهُ ، وَيَمْنَعُهُمْ مِنْ
شَيْءٍ وَيَأْتِيهِ ، وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ
وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ ، وَلَا مِنَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ،
إِنَّمَا يُرِيدُ إِضْلَاحَهُمْ وَإِسْعَادَهُمْ وَإِنْقَادَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ
الَّذِي يُحَلِّقُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ ، وَإِنَّ الْفَضْلَ كُلَّهُ يُرْجِعُ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى ، وَعَلَيْهِ اعْتِمَادُهُ .

وَقَالَ : يَقُومُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ بَيْنِ
وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ط وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا
أَنْهَكُمْ عَنْهُ ط إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِضْلَاحَ مَا اسْتَنْطَقْتُ ط وَمَا

تَوَفِّيَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ٢٥.

٨ - مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ

وَتَجَامَلَ الْقَوْمُ مَا أَرَادَهُ شُعَيْبٌ ، كَأَنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ فِي لُغَةٍ أَعْجَبِيَّةٍ ، مَعَ أَنَّهُ ابْنُ الْبَلَدِ وَأَخُو الْقَوْمِ ، وَكَأَنَّهُ كَانَ غَيْرَ مُبِينٍ فِي كَلَامِهِ غَيْرَ مُفْصِحٍ ، مَعَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِهَا كَلَامًا وَأَفْصَحِهِمْ بَيَانًا ، وَهَكَذَا يَقُولُ النَّاسُ إِذَا كَبُرَتْ عَلَيْهِمُ النَّصِيحَةُ وَشَقَّ عَلَيْهِمُ الْعَمَلُ .

٩ - شُعَيْبٌ يَتَعَجَّبُ مِنْ قَوْمِهِ

وَتَعَلَّلُوا بِضَعْفِهِ وَوَحْدَتِهِ وَأَنَّهُ لَوْلَا عَشِيرَتُهُ وَقَرَابَتُهُمْ لَهُ لَرَجَمُوهُ بِالْحِجَابَةِ وَتَخَلَّصُوا مِنْهُ ، وَقَدْ اسْتَنْكَرَ ذَلِكَ شُعَيْبٌ وَتَعَجَّبَ مِنْ أَنَّ يَكُونَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْقَادِرُ وَالْقَوِيُّ الْقَاهِرُ ، أَهْوَنَ عَلَيْهِمْ مِنْ عَشِيرَةٍ هِيَ عُرْضَةٌ لِلْأَمْرَاضِ وَالْهَلَاكِ وَالضَّعْفِ وَالْعَجْزِ .

وَقَالُوا : يُشْعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ

فِينَا ضَعِيفًا - وَلَوْلَا رَهْمُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ
 قَالَ : يَقَوْمِ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ ۗ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ
 ظَهْرِيَاءَ ۗ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝

١٠- السَّهْمُ الْأَخِيرُ

وَلَمَّا انْقَطَعَتْ حُجَّتُهُمْ أَطْلَقُوا السَّهْمَ الْأَخِيرَ الَّذِي
 أَطْلَقَهُ الْمُتَكَبِّرُونَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ عَلَى نَبِيِّهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ :
 وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ : لَنُخْرِجَنَّكَ
 يَسُوعَ بْنَ مَرْيَمَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۗ

١١- حُجَّةُ قَاطِعَةٍ

فَكَانَ جَوَابُهُ جَوَابَ فَخُورِ بَدِينِهِ ، غَيُورٍ عَلَى عَقِيدَتِهِ
 وَضَمِيرِهِ : « قَالَ : أَوْلَوْكُنَّا كَارِهِمَ ۗ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ
 كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ
 لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۗ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ
 عِلْمًا ۗ عَلِمَ اللَّهُ تَوَكُّلَنَا رَبَّنَا افْتَحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ۗ

وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ٥٠

١٢- بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ

فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ ذَلِكَ ، بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ : « قَالُوا
إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ٥ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ
لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ٥ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ٥ »

١٣- عَاقِبَةُ أُمَّةٍ كَذَبَتْ نَبِيَّهَا

وَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ وَاحِدَةً ، عَاقِبَةُ كُلِّ أُمَّةٍ كَذَبَتْ نَبِيَّهَا
وَكَفَرَتْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ : « فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جُثَمِينَ ٥ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ٥ الَّذِينَ
كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ٥ »

١٤- بَلَغَ الرَّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ

وَكَانَ شَأْنُ شُعَيْبٍ شَأْنَ كُلِّ نَبِيٍّ بَلَغَ الرَّسَالَةَ وَأَدَّى

الْأَمَانَةَ ، وَأَقَامَ الْحُجَّةَ :

« فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ : يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِ

رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كُفِرِينَ ۝ » .



قِصَّة سَيِّدِنَا دَاوُدَ وَسَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

وَلَمَّا يَفْتَصِّرِ الْقُرْآنُ عَلَى ذِكْرِ أَيَّامِ اللَّهِ وَمَا لَقِيَهِ الْأَنْبِيَاءُ
وَالرُّسُلُ مِنْ تَكْذِيبٍ وَسُخْرِيَةٍ وَإِمَانَةٍ وَمُطَارَدَةٍ مِنَ الْأُمَّمِ
الَّتِي بُعِثُوا فِيهَا ، وَمَا لَقِيَتْ مِنْهُ الْأُمَّمُ مِنْ عُقُوبَةٍ وَعَذَابٍ ،
وَمَلَائِكَةٍ وَدَمَارٍ ، لِتَكْذِيبِهَا لِلرُّسُلِ ، وَاسْتِهْزَائِهَا بِهِمْ ، وَكَيْدِهَا
لَهُمْ ، وَمَمَّتْهَا بِقَتْلِهِمْ ، كَمَا مَرَّ بِكُمْ فِي قِصَصِ النَّبِيِّينَ .

١- القرآن يتحدَّثُ عَنِ آلاءِ اللَّهِ

بَلْ تَحَدَّثَ الْقُرْآنُ كَثِيرًا عَنِ آلاءِ اللَّهِ ، وَحَكَى فِي
بَسْطِ أَحْيَانًا وَفِي اخْتِصَارِ أَحْيَانًا عَنِ نِعَمٍ كَثِيرَةٍ ، أَنْعَمَ بِهَا
عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، مِنْهُمْ دَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ ، وَمِنْهُمْ
أَيُّوبُ وَيُونُسُ ، وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى .

فَلَمَّا دَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ فَقَدْ مَكَّنَ اللَّهُ لَهُمَا فِي
الْأَرْضِ ، وَوَسَّعَ لَهُمَا فِي الْمُلْكِ ، وَمَدَّ لَهُمَا فِي الْعِلْمِ ،

وَعَلَّمَهُمَا كَثِيرًا مِمَّا جَهِلَهُ النَّاسُ ، سَخَّرَ لَهُمَا الْأَقْوِيَاءَ
وَالْمَتَادَ ، وَمَا لَا يَنْقَادُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْجَمَادَاتِ ، فَقَالَ :
« وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا : الْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَوَرِثَ
سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنَطِقَ الطَّيْرِ
وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ءِزْنًا هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْعَبِيدُ ۝ » .

٢- نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى دَاوُدَ

فَإِنَّمَا دَاوُدُ فَقَدْ سَخَّرَ اللَّهُ لَهُ الْجِبَالَ وَالطَّيْرَ تَجَاوَبَ
مَعَهُ فِي الدُّعَاءِ وَالتَّسْبِيحِ ، وَعَلَّمَهُ صِنْعَةَ التُّرُوعِ ، وَالْآنَ
لَهُ الْحَدِيدَ :

« وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يُجِبَالُ أَوْبَى مَعَهُ
وَالطَّيْرُ ، وَالنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝ أَنْ ائْمَلْ سِبْغَتِ وَقَدَّرْ
فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ » .

وَيَقُولُ : « وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ
وَكُنَّا فَاعِلِينَ ۝ وَعَلَّمْنَاهُ صِنْعَةَ لُبُوسٍ لِّكُمْ لِيُخَصِّنْكُمْ مِنْ

بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ۝

٣- شُكْرُهُ عَلَىٰ هَذِهِ النِّعَةِ

وَكَانَ دَاوُدُ مَعَ هَذَا الْمَلِكِ الْوَاسِعِ وَالْيَدِ الْمَعَادِقَةِ الْقَوِيَّةِ
عَبْدًا خَاشِعًا أَوْبًا، دَائِمَ الذِّكْرِ، طَوِيلَ الدُّعَاءِ وَالتَّسْبِيحِ،
حَاكِمًا مُقْسِطًا، يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا يَحْبِي، يَقُولُ
اللَّهُ تَعَالَىٰ :

« يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ
النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ
الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا
يَوْمَ الْحِسَابِ ۝ » .

٤- نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَىٰ سُلَيْمَانَ

فَإِنَّمَا سُلَيْمَانُ فَقَدْ سَخَّرَ اللَّهُ لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ
وَتَحْمِيلُهُ مِنْ مَّكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ، فَيَصِلُ إِلَيْهِ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ
وَأَسْرَعِ زَمَانٍ، وَسَخَّرَ لَهُ الْأَقْوِيَاءَ وَالْحَادِقِينَ مِنَ الْجِنِّ،

وَالْمَارِدِينَ مِنَ الشَّيَاطِينِ ، يُنْفِذُونَ أَمْرَهُ ، وَيُكِيدُونَ
مَشَارِعَهُ الْمُنْرَانِيَّةَ وَالْبِنَائِيَّةَ الْعِمْلَاقَةَ .

«وَلِئَلَّيْسَلِيْمِنَ الرِّيْحِ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ
الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ، وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ۝ وَمِنَ الشَّيْطَانِ
مَنْ يَقُوْصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ ۝ وَكُنَّا لَهُمْ
حَافِظِينَ ۝»

«وَلِئَلَّيْسَلِيْمِنَ الرِّيْحِ غُدُوْهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۝
وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ ، وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ
بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَمَنْ يَزِيغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ
السَّعِيرِ ۝ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَخَابِيْثٍ وَيَمْلَأْنَ
كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رُسِيَّتٍ ۝ اِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ
مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ۝»

٥ - فِيقَهُ دَقِيْقٌ وَعِلْمٌ عَمِيْقٌ

وَقَدْ تَجَلَّى ذِكَاؤُهُ وَقُدْرَتُهُ عَلَى الْحُكْمِ الصَّحِيْحِ فِي
قَضِيَّتِهِ رُفِعَتْ إِلَى وَالِدِهِ الْعَظِيْمِ ، فَكَانَ لِقَوْمٍ كَرَمٌ قَدْ أَنْبَتَ

عَنَاقِيدَهُ ، فَدَخَلَتْ فِيهِ غَنَمٌ لِقَوْمٍ فَأَفْسَدَتْهُ ، فَتَقَضَى
 دَاوُدُ بِالْغَنَمِ لِصَاحِبِ الْكُرْمِ ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ : غَيْرُ هَذَا
 يَا نَبِيَّ اللَّهِ . قَالَ : وَمَا ذَلِكَ ؟ . قَالَ : تَدْفَعُ الْكُرْمَ إِلَى
 صَاحِبِ الْغَنَمِ فَيَقُومُ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ ، وَتَدْفَعُ الْغَنَمَ إِلَى
 صَاحِبِ الْكُرْمِ فَيُصِيبُ مِنْهَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْكُرْمُ كَمَا
 كَانَ ، دَفَعْتَ الْكُرْمَ إِلَى صَاحِبِهِ ، وَدَفَعْتَ الْغَنَمَ إِلَى
 صَاحِبِهَا .

وَخَصَّهُ اللَّهُ بِفَقْهِ دَقِيقٍ وَعِلْمٍ عَمِيقٍ فَقَالَ : وَدَاوُدَ
 وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ
 وَكُنَّا لِحُكْمِهِمَا شَهِيدِينَ ۚ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّأْنَا
 حُكْمًا وَعِلْمًا .

٦- سُلَيْمَانُ يَعْرِفُ

لُغَةَ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَانِ

وَقَسَّ الْقُرْآنُ قِصَّةَ حِكْمَةِ مُنْتَعَةِ تَجَلَّى فِيهَا تَبْقُظُ
 سُلَيْمَانَ فِي تَدْيِيرِ مَمْلَكَتِهِ وَرَفْعِهِ سُلْطَانِهِ ، كَيْفَ جَمَعَ اللَّهُ
 لَهُ بَيْنَ سَمَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَبَيْنَ الْمُلْكِ وَالْمَكِينِ وَالتَّبَوُّو

وَالرِّسَالَةَ فِي الدِّيَرِ ، وَكَانَ يَعْرِفُ لُفَّةَ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَانَ ، وَجَمَعَ
جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ ذَاتَ مَرْتَبَةٍ ، وَرَكِبَ فِيهِمْ فِي
أَبْهَتِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَكَانُوا عَلَى نِظَامٍ كَامِلٍ ، وَكَانُوا فِي قِيَادَةِ
رُؤَسَائِهِمْ ، فَمَرَّ سُلَيْمَانُ عَلَى وَادِي النَّمْلِ ، فَخَافَتْ نَمَلُهُ
عَلَى قَبِيلَتَيْهَا أَنْ تَحْمِلَهَا الْخَيُْولُ بِخَوَافِهَا ، وَلَا يَشْعُرَ بِذَلِكَ
سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ، فَأَمَرْتَهُمْ بِالذُّخُولِ فِي مَسَاكِينِهِمْ ، فَفِيهِمْ
ذَلِكَ سُلَيْمَانُ ، وَلَمْ يَأْخُذْهُ التَّيَهُ وَلَا الرَّفْوُ بِأَنَّهُ تَبِيٌّ مِنْ
أَنْبِيَاءِ اللَّهِ ، بَلْ حَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَشُكْرِ
نِعْمَتِهِ ، وَالِدُّعَاؤِ لِلتَّوْفِيقِ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالِإِنْخِرَاطِ فِي
سَبِيلِكَ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ .

٧ - قِصَّةُ هُدَاهُ

وَكَانَ الْهُدْمُ رَاشِدَهُ وَعَيْنَهُ يَدُلُّهُ عَلَى مَوَاضِعِ
الْمِيَاهِ ، وَمَنَازِلِ الْجَيْشِ ، فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَتَوَعَّدَهُ ،
فَقَابَ زَمَانًا يَسِيرًا ثُمَّ جَاءَهُ ، فَقَالَ لِسُلَيْمَانَ : أَطَلَّغْتُ عَلَى
مَا لَعَنَ طَلْعَ عَلَيْهِ أَنْتَ وَلَا جُنُودُكَ ، وَجِئْتُكَ بِخَبَرٍ يَهْدِي

عَنْ سَبَأٍ وَمَلَائِكَتِهِمْ ، لَهُمْ مُلْكٌ عَظِيمٌ وَدَوْلَةٌ وَاسِعَةٌ ، وَقَدْ
 وَجَدْتُهُمْ - عَلَى هَذَا الْعَقْلِ وَالْكَيْسَةِ ، وَالْمُلْكِ وَالرَّعَاسَةِ -
 لَصْحَابَ سَفَاهَةٍ وَجَهَالَةٍ ، وَهُمْ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ ، وَلَا يَفْقَهُونَ ذَلِكَ ، وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ
 وَخِدَّةِ .

٨ - سُليمانُ يَدْعُو مَلَكَ سَبَأَ إِلَى دِينِهِ

وَسَقَى عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ بِجِوَارِ مَمْلَكَتِهِ مُلْكٌ
 وَأُمَّةٌ لَا يَنْفِرُهَا وَلَمْ تَبْلُغْهَا دَعْوَتُهُ ، وَلَا تَزَالَ تَعْبُدُ الشَّمْسَ ،
 وَثَارَتْ فِيهِ الْحَمِيَّةُ الدِّينِيَّةُ النَّبَوِيَّةُ ، وَرَأَى مِنَ الصَّوَابِ
 أَنْ يَكْتُبَ إِلَى مَلَائِكَتِهَا وَحَاكِمَتِهَا الْمُشْرِكَةِ ، وَيَدْعُوَهَا
 إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَالطَّاعَةِ وَالْإِسْتِسْلَامِ ، قَبْلَ أَنْ يَنْزَحِفَ
 عَلَى بِلَادِهِمَا بِجُودِهِ الْقَاهِرَةِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا كِتَابًا بَلِيغًا وَدَعَاَهَا
 فِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْإِسْتِسْلَامِ ، وَالْكِتَابِ يَجْمَعُ بَيْنَ
 الرَّقَّةِ وَالصَّهْرَامَةِ وَتَوَاضِعِ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرَةِ الْمُلُوكِ .



٩- المَلِكَةُ تَسْتَشِيرُ أَرْكَانَ دَوْلَتِهَا

فَقَدَّكَانَ سُلَيْمَانُ جَامِعًا بَيْنَهُمَا ، وَكَانَتِ الْمَلِكَةُ الَّتِي تَحْكُمُ
 هَذِهِ الْبِلَادَ عَاقِلَةً غَيْرَ مُتَسَرِّعَةٍ فِي الْحُكْمِ ، عِنْدَهَا تِجَارِبٌ
 وَاسِعَةٌ مِّنْ سِيَرِ الْمُلُوكِ وَأَخْبَارِ الْفَاتِحِينَ ، وَإِنَّمَا خَانَتْهَا عَقْلُهَا
 فِي مَعْرِفَةِ الْإِلَهِ وَعِبَادَتِهِ ؛ فَلَمَّ تَأْخُذُهَا حَيَّةُ الْمُلُوكِ ، وَلَمَّ
 تَسْتَشِيرُ بِالرَّأْيِ ، فَأَطْلَعَتْ أَهْلَ الرَّأْيِ مِنْ أَرْكَانِ دَوْلَتِهَا عَلَى
 هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ كَسَائِرِ الْكُتُبِ ، إِنَّهُ كِتَابٌ
 مِّنْ أَعْظَمِ الْمُلُوكِ فِي زَمَانِهَا وَمِنْ نَبِيِّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ
 وَلَقَدْ أَبَدَ أَرْكَانُ دَوْلَتِهَا يُدِلُّونَ بِقُوَّتِهِمْ وَكَثْرَةِ جُيُوشِهِمْ
 إِرْضَاءً وَتَمَلُّقًا - شَأْنَ جُلَسَاءِ الْمُلُوكِ وَ الْحُكَّامِ فِي كُلِّ زَمَانٍ
 وَمَكَانٍ - لَمْ تَقْبَلْ مَقَالَتَهُمْ وَلَمْ تُوَافِقْهُمْ عَلَيْهَا ، بَلْ حَدَّثْتَهُمْ
 مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ ، وَذَكَرْتَهُمْ بِسِيَرَةِ الْمُلُوكِ الْفَاتِحِينَ فِي
 الْأُمَمِ الْمَفْتُوحَةِ وَمَصِيرِهَا بَعْدَ الْهَزِيمَةِ وَالْإِنْكِسَارِ ، وَقَالَتْ
 سَيَكُونُ هَذَا شَأْنُ بِلَادِنَا وَأُمَّتِنَا ، وَقَالَتْ لَهُمْ : إِنِّي
 سَأُرْسِلُ إِلَى سُلَيْمَانَ بِهَدَايَا وَحُلُوفٍ فَأُتَحِّجُّهُ بِهَا ، فَإِن

قَبِلَ الْهَدِيَّةَ فَهُوَ مَلِكٌ فَقَاتِلُوهُ ، وَإِنْ لَمْ يَقْبَلْهَا فَهُوَ نَبِيٌّ فَاتَّبِعُوهُ .

١- هَدِيَّةُ مُسَاوَمَةٍ

وَبَشَّرَ إِلَيْهِ بِهَدِيَّةٍ عَظِيمَةٍ لِأَثَقَةِ بِالْمُلُوكِ ، فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَى سُلَيْمَانَ أَعْرَضَ عَنْهَا وَزَمِدَ فِيهَا ، وَقَالَ :
 أَسْهَأُ وَمُونِي بِمَالٍ لِأَثَرِكُمْ عَلَى شِرْكِكُمْ وَمُلِكِكُمْ؟ وَالَّذِي
 أَعْطَانِي اللَّهُ مِنَ الْمَلِكِ وَالْمَالِ وَالْجُنُودِ ، خَيْرٌ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ ،
 وَالْأَمْرُ جِدٌّ لَيْسَ بِهَزْلٍ ، وَالْقَضِيَّةُ قَضِيَّةٌ دَعْوَةٌ وَطَاعَةٌ ،
 لَيْسَتْ قَضِيَّةَ مُسَاوَمَةٍ ، وَتَوَعَّدَهُمْ بِقَضِيَّةٍ لَهُمْ وَرَحِمَهُ
 عَلَى مُلْكِهِمْ

١١- الْمَلِكَةُ تَأْتِي خَاضِعَةً

فَلَمَّا رَجَعَتْ هَذِهِ الْبَيْتَةُ إِلَى مَلِكَةِ سَبَأَ ، وَحَكَتْ
 لَهَا الْقِصَّةَ ، سَمِعَتْ وَأَطَاعَتْ هِيَ وَقَوْمُهَا ، وَأَقْبَلَتْ تَسِيرُ
 إِلَيْهِ فِي جُنُودِهَا خَاضِعَةً ، وَلَمَّا تَحَقَّقَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 قُدُومَهُمْ إِلَيْهِ فَرِحَ بِذَلِكَ وَحَمَدَ اللَّهَ ، وَأَرَادَ أَنْ يُرِيَهَا

آيَةٌ مِّنْ آيَاتِ اللَّهِ ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَدَلَّ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَنِعْمِهِ
عَلَى سُلَيْمَانَ ، فَأَرَادَ أَنْ يُخْضِرَ عَرْشَهَا الَّذِي وَكَلَتْ بِهِ رِجَالًا
أَقْوِيَاءَ أُمَّنَاءَ ، فَطَلَبَ مِنْ مَلَأِهِ أَنْ يَأْتُوهُ بِعَرْشِهَا قَبْلَ وَصُولِ
هَذَا الْمَوْكِبِ الْعَظِيمِ .

وَقَدْ تَحَقَّقَ مَا أَرَادَ سُلَيْمَانُ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ وَكَانَ
مُعْجِزَةً ، وَأَمْرِيهِ سُلَيْمَانُ فَغَيَّرَ بَعْضُ صِفَاتِهِ ، لِیُخْتَارَ
مَعْرِفَتَهَا وَثَبَاتَهَا عِنْدَ رُؤْيِيهِ ، وَإِنْ التَّبَسُّعُ عَلَيْهَا الْأَمْرُ
كَانَ دَلِيلًا عَلَى قُصُورِ نَظَرِهَا فِي أُمُورٍ أَدْقَ مِنْهُ وَأَبْعَدَ
مَنَالًا .

١٢- قَصْرٌ عَظِيمٌ مِنْ رُجَاجٍ

وَأَمَرَ سُلَيْمَانُ الْبَنَاتَيْنِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ، فَبَنَوْا
لَهَا قَصْرًا عَظِيمًا مِنْ رُجَاجٍ ، وَأَجْرُوا تَحْتَهُ الْمَاءَ ، فَالَّذِي
لَا يَتَعَرَّفُ أَمْرَهُ يَحْسِبُ أَنَّهُ مَاءٌ ، وَلَكِنَّ الرُّجَاجَ يَحُولُ
بَيْنَ الْمَاشِي وَبَيْنَ الْمَاءِ ، وَكَانَ الْمَوْكِبُ أَنَّ الْمَلِكَةَ
تَسْتَوِّهُ مَاءً فَتَكْشِفُ عَنْ سَاقِيهَا ، وَمُنَالِكَ تَبَيَّنَ الْخَطَأُ ،

وَتُذْرِكُ قُصُورَ نَظَرِهَا وَتُخِذَاعَهَا بِالْمَظَاهِرِ ، وَكَانَتْ هِيَ وَقَوْمُهَا
يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ ، لِأَنَّهَا أَكْبَرُ مَظْهَرٍ لِلنُّورِ وَالْحَيَاةِ ،
الَّتِي هِيَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَمُنَالِكَ يَنْكَشِفُ الْغَطَاءُ
عَنْ عَيْنَيْهَا ، فَتَعْرِفُ أَنَّهَا كَمَا أَخْطَأَتْ فِي مُعَامَلَةِ الرَّجَاجِ
مُعَامَلَةَ الْمَاءِ فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا ، كَذَلِكَ أَخْطَأَتْ
فِي مُعَامَلَةِ الشَّمْسِ مُعَامَلَةَ الْخَالِقِ فَسَجَدَتْ لَهَا وَ
عَبَدَتْهَا ، وَكَانَ ذَلِكَ أَبْلَغَ مِنْ مِائَةِ خُطْبَةٍ وَالْفِ دَلِيلٌ .

١٣- وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَهَكَذَا كَانَ ، فَقَدْ تَوَرَّطَتْ رَغَمَ دَمَائِهَا وَذَكَائِهَا
فِي هَذَا الْغَطَاءِ الْفَاحِشِ ، وَتَوَقَّعَتِ الرَّجْلَةَ مَاءَ رَفْرَاقًا
يَسِيلُ وَيَمُوجُ ، فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا ، وَأَرَادَتْ أَنْ تَحُوضَهُ
مُنَالِكَ بَنَيْهَا نَبِيُّ اللَّهِ سُلَيْمَانُ عَلَى خَطَأِهَا ، وَقَالَ :
إِنَّهُ صَرِيحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ، وَأَنْكَشَفَ الْغَطَاءُ عَنْ عَيْنَيْهَا ،
وَعَرَفَتْ جَهْلَهَا فِي قِيَاسِ الْمَظْهَرِ عَلَى الظَّاهِرِ ، وَعِبَادَةِ
الشَّمْسِ وَالسُّجُودِ لَهَا ، وَابْتَدَرَتْ تَقُولُ : رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ

نَفْسِي ، وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

١٤- الْقُرْآنُ يَحْكِي قِصَّةَ سُلَيْمَانَ

وَأَقْرَأُوا هَذِهِ الْقِصَّةَ الشَّائِقَةَ الْمُنْتَبِهَةَ فِي
الْقُرْآنِ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :

« وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ : مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ
مِنَ الْفَائِضِينَ ۚ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ
أَوْ لَأَأْتِيَنِّي بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ۚ فَمَكَتْ غَيْرَ بِعِيدٍ فَقَالَ
أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ۚ
إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ ۚ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ
عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۚ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي
يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ
وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۚ
قَالَ : سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۚ إِذْ هَبَّ

بِكَيْبِي هَذَا فَأَلْعِنُهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ
 قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَىٰ أَلْقَىٰ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ۝ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٍ
 وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلِيٌّ وَأَتُونِي
 مُسْلِمِينَ ۝ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَىٰ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ۝
 مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونَ ۝ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَىٰ
 قُوَّةً وَأَوْلُو أَبْسَ شَدِيدَةً وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا
 تَأْمُرِينَ ۝ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا
 وَجَعَلُوا أَعْرَافَهَا آذِلَّةً ۝ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۝ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ
 إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنظِرُوا لِيَمَّ يَرَاجِعُ الْمُرْسَلُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَ
 سُلَيْمٌ قَالَ أَتَيْدُوسَ بِمَالٍ زَقَمَآ أَتَنِىَ اللَّهُ خَيْرٌ
 مِّمَّا أَتَيْكُمْ ۝ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ۝ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ
 فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا آذِلَّةً
 وَهُمْ صَاغِرُونَ ۝ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَىٰ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا
 قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۝ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا
 آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ ۝ وَإِنِّي عَلَيْهِ
 لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۝ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا

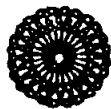
إِيَّكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفَكَ ۗ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا
عِنْدَهُ قَالَ : مُدَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي نِدَائِبَلُؤِي ۗ أَشْكُرُ
أَمْ أَكْفُرُ ۗ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ
فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۗ قَالَ : نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ
أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ۗ فَلَمَّا جَاءَتْ
قِيلَ : أَمْكَذَا عَرْشُكَ ۗ قَالَتْ : كَأَنَّهُ هُوَ ۗ وَأَوْتَيْنَا الْعِلْدَ
مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ۗ وَهَدَّاهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ
دُونِ اللَّهِ ۗ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ۗ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي
الصَّهْرَجَ ۗ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ
سَاقِيهَا ۗ قَالَ : إِنَّهُ صَهْرَجٌ مُمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ :
رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ۝

وَهَذَا نَبِيُّ اللَّهِ سُلَيْمَانُ ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ مَوَاقِفَهُ
فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى التَّوْحِيدِ ، وَحِكْمَتَهُ وَفَقْهَهُ
وَغَيْرَتَهُ عَلَى دِينِهِ وَعَقِيدَتِهِ .

١٥- وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانَ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا

نَسَبَ إِلَيْهِ الْيَهُودُ مَا لَا يَلِيقُ بِمُؤْمِنٍ مَوْحِدٍ
شَرَحَ اللَّهُ هَذَرَهُ لِلْإِيمَانِ ، فَضْلًا عَنِ نَبِيِّ مُرْسَلٍ
لَتَأْتِيَ اللَّهُ الْحِكْمَةَ ، وَآكْرَمَهُ بِالنُّبُوَّةِ ، وَشَرَّفَهُ بِالْخِلَافَةِ
فَتَسَبَّوْا إِلَيْهِ الشَّخَرَ وَالْكَفَرَ ، وَالْمُدَاهَنَةَ لِلشُّرْكِ ، وَ
الْإِضْطِرَابَ فِي أَمْرِ التَّوْحِيدِ بِسَبَبِ أَزْوَاجِهِ ، فَبَرَّاهُ
اللَّهُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ ، فَقَالَ :

« وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا
يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّخَرَ . وَقَالَ : « وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ
نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ » . وَقَالَ : « وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا
لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَآبٍ » .



قِصَّةُ سَيِّدِنَا أَيُّوبَ وَسَيِّدِنَا يُوسُفَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

١- قِصَّةُ أَيُّوبَ نَبَطٌ آخَرُ

مِنَ الْقِصَصِ

وَقِصَّةُ أَيُّوبَ فِي الْقُرْآنِ نَمَطُ آخَرُونَ مِنَ الْقِصَصِ،
 وَمَظْهَرُ آخَرٍ مِنْ مَظَاهِرِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ،
 الصَّابِرِينَ الشَّاكِرِينَ، وَالْأَنْبِيَاءِ الْمَخْبُوعِينَ؛ فَقَدْ
 كَانَ لَهُ مِنَ الدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ شَيْءٌ كَثِيرٌ،
 وَأَوْلَادٌ مَرْضِيَّةٌ، فَأَبْتَلِي فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، وَذَمَبَ عَنْ
 آخِرِهِ، ثُمَّ ابْتَلِي فِي جَسَدِهِ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ سَلِيمٌ
 سِوَى قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ يَذْكُرُ بِهِمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى
 عَاقَهُ الْجَلِيسُ، وَأَفْرَدَ فِي نَاحِيَةِ مَنْ الْبَلَدِ، وَلَمْ
 يَبْقَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَخْتُو عَلَيْهِ، سِوَى زَوْجَتِهِ الَّتِي
 كَانَتْ تَقُومُ بِأَمْرِهِ، وَاحْتَاجَتْ أَيْضًا فَصَارَتْ تَخْدِمُ
 النَّاسَ مِنْ أَجْلِهِ (١).

(١) العبارة لابن كثير في تفسيره.

٢- صَبْرُ أَيُّوبَ

وَكَانَ رَغَمَ كُلِّ ذَلِكَ صَابِرًا شَاكِرًا يَلْهَجُ لِسَانُهُ
بِالذِّكْرِ وَالشُّكْرِ ، لَا يَشْكُو ، وَلَا يَتَعَتَّبُ ، وَلَا يَتَذَمَّرُ ،
وَلَا يَفْضُبُ ، وَدَامَ عَلَى ذَلِكَ سِنِينَ حُلُومًا مُلْقَى عَلَى
كُنَاسَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَخْتَلِفُ الدَّوَابُّ فِي جَسَدِهِ

٣- مِحْنَةٌ وَمِنْحَةٌ

وَلَمَّا تَمَّ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْ ابْتِلَاءٍ ، وَمَا أَرَادَ بِهِ
مِنْ تَكْمِيلٍ ، وَرَفَعِ دَرَجَاتٍ ، وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ ، أَلْهَمَهُ
الدُّعَاءَ الْمُسْتَجَابَ ، الَّذِي تَجَلَّى فِيهِ عَجْزُهُ وَبُؤْسُهُ ،
وَأَنَّ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ ، وَعَافَاهُ اللَّهُ فِي بَدَنِهِ وَأَمَلِيهِ ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مَالَهُ ،
وَبَارَكَ لَهُ فِي كُلِّ ذَلِكَ ، فَكَانَ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ، يَقُولُ
اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :

« وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ »

وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٥٠﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ
 مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا
 وَذِكْرَىٰ لِلْعَبِيدِينَ ﴿٥١﴾

٤- قِصَّةُ يُوسُفَ وَحِكْمَتُهَا

وَتَأْتِي قِصَّةُ يُوسُفَ مَفْرُوتَةً بِقِصَّةِ أَيُّوبَ ،
 مُؤَيَّدَةً لَهَا فِي إِثْبَاتِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَلُطْفِهِ بِعِبَادِهِ
 وَإِعَانَتِهِ لَهُمْ ، حِينَ يَنْقَطِعُ الرَّجَاءُ ، وَيَنْشَى الْيَأْسُ
 الْقَاتِلُ وَالظَّلَامُ الْحَالِكُ ، وَتَنْسَدُ جَمِيعُ الْمَنَافِذِ ، فَلَا
 نُورَ وَلَا هَوَاءَ ، وَلَا أَمَلَ وَلَا رَجَاءَ ، تَدُورُ رَحَى الْمَوْتِ
 قَوِيَّةً سَرِيعَةً تَطْحَنُ حَبَّةَ الْحَيَاةِ نَاعِمَةً دَقِيقَةً .
 هُنَالِكَ تَبْرُزُ يَدُ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، الْقَوِيَّةِ
 الْقَاهِرَةِ ، الرَّحِيمَةِ الْحَكِيمَةِ ، فَتُخْرِجُ هَذَا الْإِنْسَانَ
 الضَّعِيفَ مِنْ أَشْدَاقِ الْأَسَدِ الضَّارِي وَالْمَوْتِ
 الْفَاتِكِ ، فَيَخْرِجُ سَلِيمًا غَيْرَ مَخْدُوشٍ ، كَامِلًا غَيْرَ
 مَنْقُوصٍ ، كَأَنَّمَا كَانَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ فِي بَيْتِهِ مَحْفُوظًا بَيْنَ أَهْلِهِ .

٥- يُونسُ بَيْنَ قَوْمِهِ

وَمِنْهُ قِصَّةُ يُونسَ : بَعَثَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِ
 قَرْيَةٍ دِينِيًّا ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ ،
 وَتَمَادَوْا فِي كُفْرِهِمْ ، فَخَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِمْ مُغَاضِبًا
 لَهُمْ ، وَوَعَدَهُمْ بِالْعَذَابِ بَعْدَ ثَلَاثِ ، فَلَمَّا تَحَقَّقُوا
 مِنْهُ ذَلِكَ وَعَلِمُوا أَنَّ النَّبِيَّ لَا يَكْذِبُ ، خَرَجُوا إِلَى
 الصَّخْرَاءِ بِأَطْفَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ ، وَفَرَقُوا بَيْنَ
 بَيْنِ الْأُمَّهَاتِ وَأَوْلَادِهِنَّ ، ثُمَّ تَضَرَّعُوا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
 وَجَارُوا إِلَيْهِ ، وَرَعَتِ الْإِبِلُ وَفَضِلَانُهَا ، وَخَارَتِ الْبَقَرُ
 وَأَوْلَادُهَا ، وَثَقَّتِ النَّمَمُ وَسَخَّالَهَا ؛ فَرَفَعَ اللهُ عَنْهُمْ
 الْعَذَابَ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى :

« فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمِنَتْ فَفَنَعَهَا إِيمَانُهَا

إِلَّا قَوْمَ يُونسَ ۚ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْغِيظِ
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَتَّعْنَهُمْ إِلَى حِينٍ ۝ » .



٦- يُونُسُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ

وَأَمَّا يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ ذَهَبَ فَرَكِبَ
مَعَ قَوْمٍ فِي سَفِينَةٍ ، فَجَنَحَتْ بِهِمْ ، وَخَافُوا أَنْ يَفْرُقُوا
فَاقْتَرَعُوا عَلَى رَجُلٍ يُلْقَوْنَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ يَتَخَفُّونَ مِنْهُ
فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى يُونُسَ فَأَبَوْا أَنْ يُلْقَوْهُ ، ثُمَّ أَعَادُوهَا
فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ أَيْضًا ، فَأَبَوْا ، ثُمَّ أَعَادُوهَا ، فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ
أَيْضًا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ،
أَي فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ ، فَقَامَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَتَجَرَّدَ مِنْ ثِيَابِهِ ، ثُمَّ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ ، وَقَدْ
أَرْسَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حُوتًا يَشْتَقِي الْبِحَارَ حَتَّى جَاءَ ،
فَالْتَقَمَ يُونُسَ حِينَ أَلْقَى نَفْسَهُ مِنَ السَّفِينَةِ ، فَأَوْحَى
اللَّهُ إِلَى ذَلِكَ الْحُوتِ أَنْ لَا تَأْكُلْ لَهُ لَحْمًا ، وَلَا تَهْشِمْ
لَهُ عَظْمًا ^(١) .

(١) العبارة لابن كثير في تفسيره .

٧- وَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاؤَهُ

فَكَانَ فِي ظُلْمَةٍ بَطْنِ الْحَوْتِ ، فِي ظُلْمَةِ الْبَحْرِ ،
 فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ، ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، فَمَا أَشَدَّ
 الظُّلَامَ ! وَمَا أَبْعَدَ السَّلَامَ ! وَمَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ
 يَنْكُتَ ، ثُمَّ أَلْهَمَهُ اللَّهُ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تُبَدِّدُ الظُّلُمَاتِ ،
 وَتَكْشِفُ الْكُرْبَاتِ ، وَسَتَنْزِلُ الرَّحْمَةَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ
 سَمَاوَاتٍ ، وَاسْمَعِ الْقُرْآنَ يَحْكِي هَذِهِ الْقِصَّةَ الْفَرِيدَةَ
 الْفَرِيدَةَ ، الَّتِي فِيهَا سَلَوَى لِكُلِّ بَائِسٍ مَاهُوفٍ ، وَيَأْسٍ
 مُضْطَرِبٍ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِمَارْحَبَتِ ، وَ
 ضَاقَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ ، وَرَأَى عِيَانًا أَنْ لَا مَلْجَأَ
 مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ :

وَوَدَا النُّونَ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ
 نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
 سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
 وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ ۝ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ۝

قِصَّةُ سَيِّدِنَا زَكْرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ

١- دُعَاؤُ زَكْرِيَّا لِوَلَدٍ صَالِحٍ

وَلَوْ نُؤُ أَحْرَمُنْ آلَاءِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَآيَاتِ
 قُدْرَتِهِ الَّتِي أَحَاطَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ ، تَجَلَّى فِي دُعَاؤِ زَكْرِيَّا
 لِوَلَدٍ صَالِحٍ رَضِيٍّ ، بَرِّتَقِيَّةٍ ، يَرِثُهُ وَيَرِثُ مِنْ آلِ
 يَعْقُوبَ ، وَيَقُومُ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ، وَذَلِكَ حِينَ
 تَقَدَّمَتْ بِهِ الشَّنُّ ، وَوَهَنَ مِنْهُ الْعَظْمُ ، وَلَجَّ بِهِ
 الشَّيْبُ ، وَانْقَطَعَ الرَّجَاءُ مِنْ أَنْ تَلِدَ زَوْجُهُ ، فَأَجَابَ
 اللَّهُ تَعَالَى دُعَاءَهُ ، وَكَذَّبَ ظَنُونَ النَّاسِ ، وَأَبْطَلَ
 التَّجَارِبَ الْقَدِيمَةَ ، فَزَرَقَهُ وَلَدًا رَاشِدًا ، بَكَرًا بِهِ
 النُّبُوغُ وَالْحِكْمَةُ ، وَالجِلْمُ وَالْعِلْمُ ، وَالكِتَابُ فِي
 الصِّغَرِ ، وَخُصِنَ بِالْحَنَانِ وَالصَّلَاحِ وَالتَّقْوَى وَالْبِرِّ
 بِالْوَالِدَيْنِ ، وَالرَّقَّةِ وَلِينِ الْكَنَفِ وَخَفْضِ الْجَنَاحِ
 وَرَبَطَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِ زَكْرِيَّا ، وَأَرَاهُ آيَاتِ تَدْلُ

عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ الْوَاسِعَةِ ، وَأَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، وَأَرَاهُ تُصَهَّرُهُ
 فِي خَلْقِهِ وَفِي أَعْضَاءِ جِسْمِهِ يُحْرِكُ مَا يَشَاءُ وَيُعْطِلُ مَا يَشَاءُ ،
 وَتَحَقَّقَ لَهُ أَنَّ الْكُونَ كُلَّهُ بِيَدِهِ ، يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ،
 وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وَيَزْرُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

٢- نَذْرُ امْرَأَةِ عِمْرَانَ

وَقَدْ نَذَرَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ - مِنْ أَسْرَةِ سَيِّدِنَا
 زَكْرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَتْ امْرَأَةً صَالِحَةً تُحِبُّ اللَّهَ ، وَ
 تُحِبُّ دِينَهُ - أَنَّهَا إِذَا وَلَدَتْ ذَكَرًا تَهَبُ هَذَا الْوَلَدَ
 لِلَّهِ : لِخِدْمَةِ دِينِهِ وَسَأَلَتْ اللَّهَ أَنْ يَقْبَلَ هَذَا الْوَلَدَ
 وَيَنْفَعَ بِهِ دِينَهُ وَعِبَادَهُ ، وَأَنْ يَكُونَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ وَإِمَامًا
 مِّنْ أُمَّتِهِ الْهُدَى :

٣- قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ

وَأَرَادَتِ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ أَمْرًا وَأَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا ،
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَصْلِحَةِ عِبَادِهِ ، فَإِذَا هِيَ تَلِدُ أُنْثَىٰ ، فَتَحْزَنُ

لِذَلِكَ وَتَفْسَاهُ الْكَأَبَةُ ، وَلَكِنَّ الْوَلِيدَةَ لَمْ تَكُنْ كَكَلِّ
 أَنْثَى ، بَلْ كَانَتْ أَقْوَى عَلَى الْعِبَادَةِ ، وَأَعْلَى هِمَّةً فِي
 الطَّاعَاتِ وَالْخَيْرَاتِ ، مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْفِثْيَانِ ، وَإِذَا قَدَّرَ
 اللَّهُ - لِحِكْمَةٍ يَفْلِكُهَا - أَنْ تَكُونَ أَنْثَى ، وَالنَّبُوَّةُ لَا يَضْطَلِعُ
 بِأَعْبَائِهَا إِلَّا الرَّجَالُ ، فَقَدَّرَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ أُمَّةً لِنَبِيِّ
 صَالِحٍ يَكُونُ لَهُ شَأْنٌ :

« إِذْ قَالَتْ أَمْرَاتُ عِمْرَانَ : رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ

مَا فِي بَطْنِي مُحْتَرًّا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝
 فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ : رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
 بِمَا وَضَعْتَ ۖ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ
 وَإِنِّي أَخِيفُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝ » ،

٤ - عِنَايَةُ اللَّهِ بِالْفَتَاةِ الصَّالِحَةِ

وَكَانَتْ فِي كِفَالَةِ سَيِّدِنَا زَكْرِيَّا لِمَكَانَتِهَا مِنْهُ ،
 وَفِي رِعَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَكَانَ اللَّهُ يُكْرِمُهَا بِالْأَشْمَارِ
 وَالْفَوَاكِهِ فِي غَيْرِ أَوَانِهَا وَفِي غَيْرِ مَكَانِهَا ، تَأْكُلُ مِنْهَا

مَا تَشَاءُ وَتَهَبُ مِنْهَا مَا تَشَاءُ .

« فَتَقْبَلُهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنٍ وَأُنْتَبِهَا تَبَاتًا حَسَنًا
وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَّا ، كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ
عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ : يَمْزِيغُ آتِي لَكَ هَذَا ، قَالَتْ : هُوَ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ »

٥ - إِلَهَامًا مِنَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ

وَأَلْهَمَ اللَّهُ زَكَرِيَّا - وَهُوَ نَبِيٌّ مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمِنَ
الْعُقَلَاءِ الْأَذْكِيَاءِ - أَنْ مَن يَتَقَدَّرُ عَلَى أَنْ يُكْرِمَ فَتَاةً
صَالِحَةً أَخْلَصَتْ أُمَّهَا فِي النَّذْرِ بِهَا وَالدُّعَاءِ لَهَا ، وَ
أَخْلَصَتْ هِيَ فِي الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ ، بِفَوَاكِهَ سَابِقَةٍ لِّزَمَانِهَا
أَوْ مُتَأَخَّرَةٍ عَنْ أَوَانِهَا ، يَقْدِرُ أَنْ يَهَبَ شَيْخًا قَدْ طَعَنَ
فِي السِّنِّ وَغَلَاهُ الشَّيْبُ وَأَثَّرَ فِيهِ الْوَهْنُ ، وَلَدًا قَدْ
انْقَطَعَ مِنْهُ الرَّجَاءُ لِعُلُوِّ السِّنِّ وَعَقْرِ الزَّوْجِ ، وَجَرَتْ
الْعَادَةُ أَنْ لَا يُوَلَّدَ لِرَجُلٍ فِي هَذِهِ الْحَالِ .

فَجَاشَتْ نَفْسُهُ ، وَعَلَتْ هِمَّتُهُ ، وَانْتَعَشَ

الْأَمَلُ ، وَقَوِيَّتِ الثَّقَةُ بِالرَّبِّ ، فَفَاضَ لِسَانُهُ بِدُعَاؤِ أُمَّتٍ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ ، وَتَحَرَّكَتْ بِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ ، وَكَانَ كَلَّهُ إِلَهَامًا مِّنَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ ، وَتَقْدِيرًا مِّنَ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ :
 « هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ : رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝ » .

٦- بَشَارَةُ وُلْدٍ

وَأَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ ، وَتَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ الْبَشَارَةُ بِوَلَدٍ صَالِحٍ قَرِيبِ زَمَانٍ وِلَادَتِهِ .
 وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ، فَطَلَبَ أَمَارَةً عَلَى إِمْكَانِ هَذَا الْحَدِيثِ الْكَبِيرِ وَقُرْبِ ظَهْرِهِ ، فَقَالَ :
 « رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۚ قَالَ : إِنِّي لَأَتُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ۖ وَادْكُرُ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ۝ » .

فَالْقَادِرُ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْلُبَ خَوَاصَّ الْأَشْيَاءِ ، فَيَجْعَلُ اللِّسَانَ النَّاطِقَ أَنْبَكُمْ لَا يَسْتَطِيعُ

أَنْ يَتَحَرَّكَ بِكَلِمَةٍ ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يُودِعَ مَا شَاءَ مِنْ
تَخْلُوقَاتِهِ مَا شَاءَ مِنْ خَوَاصِّ ، وَالْقَوِيُّ الَّذِي يَسْتَطِيعُ
أَنْ يَمْنَعَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْطِيَ

٧- آيَاتُ اللَّهِ وَقُدْرَتُهُ

وظَهَرَتْ آيَاتُ اللَّهِ وَقُدْرَتُهُ فِي جِسْمِهِ ثُمَّ فِي
بَيْتِهِ وَأُسْرَتِهِ ، وَوُلْدِ يَحْيَى فَقَرَّتْ بِهِ عَيْنُهُ ، وَاشْتَدَّ
بِهِ أَزْرُهُ ، وَعَاشَتْ بِهِ دَعْوَتُهُ . وَاسْمَعُوا الْقُرْآنَ يَحْيَى
هَذِهِ الْقِصَّةَ تَارَةً فِي إِيجَازٍ وَطَوْرًا فِي تَفْصِيلٍ ، فَيَقُولُ :
« وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ : رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَ
وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ زَوْجَنَا لَهُ يَحْيَى وَ
أَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ
يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ، وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ٥ » .

٨- يَحْيَى يَضْطَلِعُ

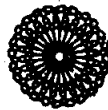
بِأَعْيَابِ الدَّعْوَةِ

وَيُولَدُ يَحْيَى فَيَكُونُ قُرَّةَ عَيْنٍ لِأَبُوئِهِ ، وَخَلِيفَةً

لِوَالِدِهِ الْعَظِيمِ ، فَيَضطلعُ بِأَعْبَاءِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى
 الدِّينِ الْخَالِصِ ، وَتَظْهَرُ فِيهِ آثَارُ النَّجَابَةِ مِنْذُ
 الصِّغَرِ ، فَيُقْبَلُ عَلَى الْعِلْمِ بِشَفَفٍ وَهُوَ غَلَامٌ ، وَيَتَحَلَّى
 بِالصَّبَاحِ وَالتَّقْوَى وَهُوَ شَابٌ ، وَيَمْتَازُ عَنْ أَقْدَانِهِ
 فِي الْحُبِّ وَالْحَنَانِ وَالْبِرِّ بِالْأَبْوِينِ ، يُشَارُ فِي ذَلِكَ
 إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى مُخَاطِبًا لَهُ :

« يَيْحَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ، وَاتَّبِعْ الْحُكْمَ

صَبِيًّا وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا وَبِرًّا
 بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ
 وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا . ٢٥ .



قصة سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام

١- قصة خارقة للعادة

وَيَجِيءُ دُورُ سَيِّدِنَا عَيْسَى ، وَمَوْآخِرُ الرُّسُلِ
 قَبْلَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهِيَ قِصَّةٌ
 تَجَلَّتْ فِيهَا إِرَادَةُ اللَّهِ الْقَامِرَةُ ، وَقُدْرَةُ اللَّهِ الْمُطْلَقَةُ ،
 وَحِكْمَةُ اللَّهِ الدَّقِيقَةُ ، فَأَمْرُهُ كُلُّهُ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ ، وَوِلَادَتُهُ
 خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ ، حَارَتْ فِيهَا الْأَلْبَابُ ، وَنُسِخَتْ فِيهَا
 الْقَوَانِينُ الطَّبِيعِيَّةُ ، وَشَقَّ الْإِيمَانُ بِهَا وَالتَّصَدِيقُ لَهَا
 عَلَى مَنْ آمَنَ بِالْقَوَانِينِ الطَّبِيعِيَّةِ كَالِهِيَ لَا يَزُولُ وَلَا يَحْوُلُ ،
 وَآمَنَ بِالتَّجْرِبَةِ وَالمُشَاهَدَةِ وَبِأَحْكَامِ الطَّبِّ وَالمُطَبَّعَةِ
 كَنَامُوسٍ لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَتَبَدَّلُ ، وَجَهَلَ قُدْرَةَ اللَّهِ الَّتِي
 أَحَاطَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَغَلَبَتْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِرَادَتَهُ
 الَّتِي لَا يَحْوُلُ دُونَهَا شَيْءٌ ، « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا
 أَنْ يَقُولَ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ » .

وَهَانَ هَذَا الْإِيمَانُ عَلَيَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ كَالِهٍ
 قَادِرٍ مُرِيدٍ، خَالِقِ صَبَاحٍ، «هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِيُّ
 الْمُبْصِرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٥ .

وَأَمَّنْ يَخْلُقِ آدَمَ مِنْ مَاءٍ وَطِينٍ، وَمِنْ غَيْرِ أُمَّةٍ
 وَأَبٍ، وَوِلَادَةٍ مِّنْ أُمَّةٍ مِّنْ غَيْرِ أَبِي أَهْوَنُ وَأَيْسَرُ لِلتَّهْدِيقِ
 مِنْ وِلَادَةٍ مِّنْ غَيْرِ أُمَّةٍ وَأَبٍ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:
 «إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ» خَلَقَهُ مِنْ
 تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ ٥ .

٢- أَمْرُ كُلِّهِ عَجَبٌ

وَأَمْرُ سَيِّدِنَا عِيسَىٰ كُلُّهُ عَجَبٌ، وَقَدْ كَانَتْ
 وَوِلَادَتُهُ فِي عَصْرِ بَلَّغَتْ فِيهِ «يُونَانُ» أَوْجَهًا فِي الْعُلُومِ
 الْعَقْلِيَّةِ وَالرِّيَاضِيَّةِ، وَكَانَتْ لِلطَّبِّ دَوْلَةٌ وَصَوْلَةٌ.

٣- خُضُوعُ الْيَهُودِ

لِلْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ

وَخُضَعَ الْيَهُودُ - وَهُمْ أُمَّةٌ كَثُرَ فِيهَا الْأَنْبِيَاءُ -

لِلْعُلُومِ السَّائِدَةِ فِي عَصْرِهِمْ ، وَاشْتَهَرَ فِيهِمْ انْكَارُ الرُّوحِ
 وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا ، وَاعْتَادُوا أَنْ يُفَسِّرُوا كُلَّ مَا يَرَوْنَهُ
 تَفْسِيرًا مَادِّيًّا ، فَلَا وُجُودَ لِشَيْءٍ عِنْدَهُمْ وَلَا إِمْكَانَ
 لِحَادِثٍ إِلَّا بِالسَّبَبِ وَالْعِلَّةِ ؛ فَكَانَتِ الْمُعْجَزَاتُ الَّتِي
 أَكْرَمَ اللَّهُ بِهَا سَيِّدَنَا عِيسَى عِلَاجًا لِلْعَقْلِ الْمَادِّيِّ
 الضَّيِّقِ ، وَحَاجَةً الْعَصْرِ وَبِدَاءَ الزَّمَانِ .

وَأَمَّنَ الْيَهُودُ فِي الْوُقُوفِ عِنْدَ الظَّاهِرِ وَالتَّمَسُّكِ
 بِالْقُشُورِ دُونَ اللَّبَابِ ، وَالتَّشَبُّثِ بِالْمَظَاهِرِ دُونَ
 الْحَقِيقَةِ ، وَغَلَوُا فِي تَقْدِيسِ الْعَصْرِ وَالدَّمِ ، وَفِي
 حُبِّ الْمَالِ وَالْمَادَّةِ ، وَانْهَمَكُوا فِي الْحَيَاةِ إِنِّهَمَاكَ زَائِدًا
 وَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَجَعَّتْ طَبَائِعُهُمْ ، فَلَا يَرِقُونَ لِلضَّعِيفِ
 وَلَا يَنْطَفُونَ عَلَى الْفَقِيرِ ، وَيُعَامِلُونَ مَنْ لَا يَجْرِي فِي
 عُرُوقِهِ الدَّمُ الْإِسْرَائِيلِيُّ مَعَامَلَةَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْكِلابِ
 أَوِ الْجَمَادَاتِ الَّتِي لَا رُوحَ فِيهَا ، وَيَخْضَعُونَ لِلْأَقْرَبَاءِ الْأَغْنِيَاءِ ،
 وَيَتَجَبَّرُونَ عَلَى الصَّغَارِ الْفُقَرَاءِ ، وَيَقْسُونَ عِنْدَ الْقُدْرَةِ ،
 وَيَلِينُونَ عِنْدَ الْعَجْزِ ، قَدْ وُلِدَتْ فِيهِمْ حَيَاةُ الدُّلِّ

وَالْعُبُودِيَّةِ الَّتِي عَاشُوها فِي الْحُكْمِ الرُّومَانِي الَّذِي دَامَ
مُدَّةً طَوِيلَةً فِي سُورِيَا وَفَلَسْطِينِ ، النَّفَاقِ وَالخُنُوعِ ،
وَالتَّحَيُّلِ وَالدَّمَاءِ ، وَاللُّجُوءِ إِلَى الْمُؤَامَرَةِ وَالسَّرِيَّةِ .

٤- اسْتِخْفَافٌ وَتَمَرُّدٌ

وَوَلَدَ فِيهِمُ الْإِسْتِخْفَافُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْإِجْتِرَاءُ
عَلَيْهِمْ ، حَتَّى بِالْقَتْلِ ، وَالتَّعَامُلُ بِالرَّبِّا ، وَالْعَيْثُ بِالتَّعَالِيمِ
الدِّينِيَّةِ ، الْغِلْظَةُ وَالْجَفَافَ ، وَضَعْفَ الْعَاطِفَةِ
الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَتَجَرَّدَتْ قُلُوبُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ مِّنْ حُبِّ اللَّهِ
الْخَالِصِ ، وَالرَّحْمَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ - مَهْمَا كَانَ أَضْلُهُ
وَفَضْلُهُ - وَاحْتِرَامِ الْإِنْسَانِيَّةِ .

وَكَادُوا يَنْسَوْنَ مَعَانِيَ الْمُؤَاسَاةِ وَالْمُسَاوَاةِ ،
وَالْبِرِّ وَالكَرَمِ ، وَكَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالنُّبُوءَاتِ وَالرِّسَالَاتِ ،
وَكَانَتْ فِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ ، وَزَخَرَتْ صُحُفُهُمْ بِأَخْبَارِهِمْ ،
وَلَكِنَّهُمْ قَدْ أَصْبَحُوا فِي الزَّمَنِ الْأَخِيرِ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِمَا
وَافَقَ هَوَاهُمُ ، وَأَيْدَهُمْ فِي سِيَرَتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ ، أَمَا

مَنْ اَتَقَدَّمُهُمْ وَحَاسَبَهُمْ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الدِّينِ الصَّحِيحِ
وَالْحَقِّ الصَّحِيحِ وَإِضْلَاحِ الْحَالِ ، عَادَوُهُ وَحَارَبُوهُ ، وَكَانَتْ
عِنْدَهُمْ جَرَاءَةٌ عَلَى الْبُهْتِ وَالْإِفْتِرَاءِ ، وَكُتْمَانِ الْحَقِّ ،
وَشَهَادَةِ الزُّورِ .

٥- نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ

وَكَانُوا أُمَّةً تَمْتَّازُ عَنِ الْأُمَمِ الْمُعَاصِرَةِ فِي كُلِّ
زَمَانٍ ، بِعَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ ، وَذَلِكَ سِرٌّ تَفْضِيلُهُمْ عَلَى
غَيْرِهِمْ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
« يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ
عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ٥٠ » .

٦- نِكْرَانُ لِلْجَبِيلِ

وَلَكِنْ تَسَرَّبَتْ إِلَيْهِمْ بِحُكْمِ الْإِخْتِلَافِ وَمُجَاوَزَةِ
الشُّعُوبِ الْوَسْطِيَّةِ الْمُشْرِكَةِ ، وَبَطُولِ الْعَهْدِ بِتَعَالِيهِ
الْأَنْبِيَاءِ ، عَقَائِدُ زَائِفَةٌ ، وَعَادَاتُ جَامِلِيَّةٌ ، وَقَدْ عَبَدُوا

العجل في مضر، وبالفوا في تقديس عزيز و تعظيمه،
 حتى نخطوا به حدود البشرية، وبلغت بهم الوقاحة
 إلى أن تسبوا بعض أعمال الشرك والوثنية، وأعمال
 السحر والكفر، والأفعال الشنيعة، إلى بعض الأنبياء،
 ولم يتقوا الله فيهم .

٧- زهوء ودلال

وكانوا زعم كل ذلك شديدي الإذلال بالنسب،
 شديدي الإغتماد على الأماني والأحلام، يقولون:
 «نحن أبناء الله وأحبناؤه». ويقولون: «لن تمسنا
 النار إلا آياتاً مفدودة» .

٨- ولادة المسيح

تحدى المحسوس المعروف

وكانت ولادة المسيح وحياته، ودعوته
 ومعيشته، تحدياً لكل ذلك، تحدياً للمحسوس
 المقرر، تحدياً للأعراف الشائعة، والعادات المتبعة،

وَالْقَوَانِينَ الْمَرْسُومَةِ ، وَالْمَثَلِ الْعُلْيَا الَّتِي يُؤْمِنُ بِهَا
 الْيَهُودُ ، وَالْعَادَاتِ الَّتِي يَتَنَافَسُونَ فِيهَا ، وَتَقَاتُلُونَ
 عَلَيْهَا ، فَوُلِدَ مِنْ طَرِيقَةٍ غَيْرِ مَأْلُوفَةٍ ، وَكَلَّمَ النَّاسَ
 فِي الْمَهْدِ ، وَنَسَأَ فِي أَحْضَانِ أُمِّهِ فَقَبِيرَةٌ مُتَبَتِّلَةٌ ، وَ
 عَاشَ فِي جَوْثِ مَلِيئٍ بِالطَّنِّ وَالْقَدْحِ ، بَعِيدٍ عَنِ مَظَاهِرِ
 الْعِظَمَةِ وَالْفَنَى ، يُجَالِسُ الْفُقَرَاءَ ، وَيُؤَاكِلُهُمْ ، وَيَحْنُرُ
 عَلَيْهِمْ ، وَيُؤَاسِي الضُّعَفَاءَ وَالغُرَبَاءَ ، وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ فَقِيرٍ
 وَغَنِيٍّ ، وَحَاكِمٍ وَمُحْكُومٍ ، وَشَرِيفٍ وَوَضِيعٍ .

٩- مَعْجَزَاتُ الْمَسِيحِ

وَأَحْرَمَهُ اللَّهُ بِالنُّبُوَّةِ وَالْوَسِيَّةِ ، وَأَتَاهُ الْإِنْجِيلَ ،
 وَأَيَّدَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَامِرَةِ ، يَشْفِي
 اللَّهُ بِهِ الْمَرَضَى الَّذِينَ عَجَزَ عَنْ مَدَاوِينِهِمُ الْأَطِبَّاءُ ،
 وَيُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ ، وَيُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ،
 وَيَخْلُقُ لِلنَّاسِ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ، فَيَنْفُخُ فِيهِ ،
 فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَيُنَبِّئُ بِمَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ

وَيَدَّخِرُونَهُ فِي بُيُوتِهِمْ .

فَيُفِيدُ بِكُلِّ ذَلِكَ الثَّقَةَ بِمَا جَاءَ فِي التَّوْرَةِ مِنْ
خَبَرِ مُعْجَزَاتِ الرُّسُلِ ، وَأَخْبَارِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَيُجَدِّدُ
الْإِيمَانَ بِهَا ، وَيَكْذِبُ الْعِبَادَةَ لِلْحَسَنِ وَالتَّجْرِبَةَ ، فَمَقَامُ
الَّذِينَ يَنْكُرُونَ سَعَةَ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَقُوَّةَ الْإِرَادَةِ -
الرَّبَّانِيَّةِ ، فَقَرَّرُوا أَنْ لَا جَدِيدَ وَأَنْ لَا مَزِيدَ فِيمَا عَلِمُوهُ
وَشَاقِدُوهُ .

١- دَعْوَتُهُ إِلَى الدِّينِ وَتَكْذِيبُهُ الْيَهُودَ

وَكَذَّبَ الْيَهُودَ فِي كَثِيرٍ مِمَّا تَخَيَّلُوهُ وَغَلَّوْا فِيهِ ،
وَحَرَّمُوا مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ ، وَأَحَلُّوا مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ ، وَيَدْعُوهُمْ
إِلَى نُوحِ الدِّينِ وَلُبَّائِهِ ، وَأَصْلِهِ وَحَقِيقَتِهِ ، وَالْحُبَّ
لِلَّهِ حُبًّا يَغْلِبُ عَلَى كُلِّ حُبٍّ ، وَالرَّحْمَةَ عَلَى الْإِنْسَانِيَّةِ
وَاحْتِرَامَهَا ، وَالْمَوَاسَاةَ لِلْفُقَرَاءِ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ
الْخَالِصِ ، وَرَفْضِ كُلِّ مَا دَخَلَ عَلَى دِينِ الْأَنْبِيَاءِ
مِنْ عَادَاتِ جَاهِلِيَّةِ ، وَعَقَائِدِ بَاطِلَةٍ .

١١- الْيَهُودُ يَنْصِبُونَ لَهُ الْحَرْبَ

وَشَقَّ كُلُّ ذَلِكَ عَلَى الْيَهُودِ ، وَنَصَبُوا لَهُ الْحَرْبَ .
 وَرَمَوْهُ عَن قَوْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَرَشَقُوهُ بِالثَّهْمِ وَالْقَدَائِفِ ،
 وَتَنَاوَلُوهُ بِالسَّبِّ الْقَبِيحِ وَالْقَوْلِ الْبَدِيحِ ، وَتَنَاوَلُوا أُمَّهُ
 مَزِيمَ الْبَتُولِ بِالْقَذْفِ وَالطَّنْفِ ، وَعَاكَسُوهُ وَطَارَدُوهُ ،
 وَأَمَاجُوا لَهُ الْأَوْبَاشَ ، وَسَدُّوا فِي وَجْهِهِ الطَّرْقَ .

١٢- قِصَّةُ عِيسَى فِي الْقُرْآنِ

ثُمَّ أَرَادُوا قَتْلَهُ وَالتَّخْلُصَ مِنْهُ ، فَحَمَاهُ اللَّهُ ،
 وَرَدَّ كَيْدَهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ وَكَرَّمَهُ ، أَفَرُّوا
 قِصَّتَهُ فِي الْقُرْآنِ :

« إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ
 بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ، اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۗ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي
 الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ۗ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ

لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشْرًا قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا
 يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝ وَيَأْمُرُهُ
 الْكُتُبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي
 إِسْرَائِيلَ ۝ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۝ أَنِّي أَخْلَقُ
 لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ
 اللَّهِ ۝ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي السَّمَوِيُّ بِإِذْنِ اللَّهِ
 وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۝ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ
 مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ
 وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝ إِنَّ
 اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۝ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ فَلَمَّا
 أَحْسَنَ عِيسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ : مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ
 قَالَ الْحَوَارِيُّونَ : نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ۝ أَمَّا بِاللَّهِ ۝ وَاشْهَد
 بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا
 مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝ وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهِ ۝ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝
 إِذْ قَالَ اللَّهُ : يُعِيسِي إِبْنِي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ

وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَخْكُمُ
 بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
 فَأَعَذُّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ
 مِنْ نَاصِرِينَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ
 أُجُورَهُمْ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝ ذَلِكَ نَشَأُكَ
 مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ
 كَمَثَلِ آدَمَ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ،
 الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْتَرِينَ ۝

١٣- سِيرَتُهُ وَدَعْوَتُهُ

فِي الْقَدَانِ

وَأَقْرَأُوا وَصَفَهُ تَعَالَى لِسِيرَتِهِ وَدَعْوَتِهِ، فِي قَوْلِهِ:
 قَالَ: إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ تَشَنَّبِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي
 نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبْرَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ، وَأَوْصَانِي بِالْعَمَلِ
 وَالزُّكُوفِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبِرًّا بَوْلِدَتِي، وَلَمْ يَجْعَلَنِي جَبَّارًا شَقِيًّا
 وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝.

١٤- صِرَاعٌ قَدِيمٌ

وَوَقَعَ لِسَيِّدِنَا عِيسَى مَا وَقَعَ لِلْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ ، فَابْتَعَدَ
عَنْهُ الرُّؤَسَاءُ وَالزُّعَمَاءُ ، وَهَجَرَهُ الْأَغْنِيَاءُ وَالْأَقْوِيَاءُ ، وَرَأَوْا
فِي الْإِسْمَانِ بِهِ وَاتَّبَاعِهِ غَضَابَةً وَعَيْنِيًّا ، وَشَقَّ عَلَيْهِمُ التَّنَازُلُ
عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ ، مِنْ رِئَاسَةٍ وَرِزْعَامَةٍ ، وَامْتِيَازِ وَسِيَادَةٍ ،
وَصَدَقَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى :

« وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ
مُتْرَفُوهُمْ : إِنَّا بِنَمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كِفْرُونَ ۖ وَقَالُوا : نَحْنُ
أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا ۖ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ۖ » .

١٥- إِيْمَانُ عَامَّةِ النَّاسِ وَفُقْرَانِهِمْ

وَلَمَّا يَأْتِسْ عِيسَى مِنْهُمْ ، وَشَاهَدَ فِيهِمُ الْإِنَادَ
وَالْكَفْرَ ، وَرَأَى أَنَّهُمْ قَدْ جَحَدُوا بِمَا جَاءَهُ بِهِ ، مِنْ
آيَاتِ بَيِّنَاتٍ وَمُعْجَزَاتٍ بَاهِرَاتٍ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ،
وَاسْتَضَعَفَرُوهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ حَوْلٍ وَطَوْلٍ ، أَقْبَلَ

عَلَىٰ عَامَّةِ النَّاسِ وَفُقَدَائِهِمْ ، وَقَدْ لَانَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَصَفَتْ
نُفُوسُهُمْ ، لِأَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ يَكْدَ يَمِينِهِمْ وَعَرَقَ جَبِينِهِمْ ،
لَا يَتَفَاخَرُونَ بِنَسَبٍ ، وَلَا يَتَطَاوَلُونَ بِمَجَاهِدٍ وَمَنْصِبٍ ، فَأَمَّتْ
مِنْهُمْ مَلَائِفَةٌ ، فِيهَا الْقَصَّارُونَ ، وَفِيهَا صَبَّادُو الْأَسْمَاجِ ،
وَفِيهَا أَمَلُ الْحَرْفِ وَالْبِهَنِ .

١٦- نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ

فَأَمَّنُوا بِالْمَسِيحِ ، وَالتَّفَّوْا حَوْلَهُ ، وَوَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ
فِي يَدِهِ ، وَقَالُوا : «نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ» يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :
«فَلَمَّا أَحْسَنَ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ : مَنْ
أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ» قَالَ الْحَوَارِيُّونَ : نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ، أَمْنَا
بِاللَّهِ ، وَاشْهَدْنَا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٥ رَبَّنَا أَمْنَا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا
الرَّسُولَ فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ٥

١٧- سِيَّاحَتُهُ وَدَعْوَتُهُ

وَكَانَ سَيِّدُنَا عِيسَى يَقْضِي أَكْثَرَ أَوْقَاتِهِ فِي

السِّيَاحَةِ ، وَالْإِنْتِقَالِ مِنْ مَّكَانٍ إِلَى مَّكَانٍ ، يَدْعُو بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى اللَّهِ ، وَيَهْدِي خِرَافَهُمُ الصَّلَاةَ إِلَى رَبِّهَا وَ سَيِّدِهَا ، وَيَتَّفِقُ لَهُ فِي هَذِهِ الْجَوْلَاتِ وَالرَّحَلَاتِ الْيَسْرُ وَالْعُسْرُ ، وَالصَّبِيْقُ وَالرَّخَاءُ ، وَيَتَحَمَّلُ ذَلِكَ صَابِرًا ، وَيَقْبَلُ هَذَا شَاكِرًا ، وَيَصْبِرُ عَلَى الْجُوعِ ، وَيَجْتَزِي بِمَا يَسُدُّ الرُّمُقَ .

١٨- الْحَوَارِيُّونَ

يَطْلُبُونَ مَائِدَةَ السَّمَاءِ

أَمَّا الْحَوَارِيُّونَ فَلَمَّ يَكُونُوا بِمَنْزِلَتِهِ مِنَ الصَّبْرِ وَالْجَلْدِ وَالتَّقْشِفِ وَالتَّوَمَادَةِ ، وَأَصَابَهُمْ شَيْءٌ مِّنْ ذَلِكَ ، فَطَلَبُوا مِنْ سَيِّدِنَا عَيْسَى أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يُنْزِلَ لَهُمْ مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ يَأْكُلُونَ مِنْهَا وَيَشْبَعُونَ بَعْدَ جُوعٍ ، وَيَنْعَمُونَ بَعْدَ عَنَاءٍ .

١٩- سُوءُ أَدَبٍ

وَلَمَّ يَكُونُوا مُتَأَدِّبِينَ فِي سُؤَالِهِمْ ، فَقَالُوا : هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ

وَلَمْ يُنَجِبْ عَيْسَىٰ سُؤْلَهُمْ ، وَكَرِهَ الْأَسْلُوبَ الَّذِي خَاطَبُوا
 بِهِ . وَالْأَنْبِيَاءُ جَمِيعًا يُطَالِبُونَ أُمَّهَاتِهِمْ بِالْإِيمَانِ بِالْقَيْبِ ،
 وَيُكَلِّفُونَهَا إِيَّاهُ ، وَلَيْسَتْ الْمُنْجِزَاتُ مَخَارِقَ يُسَلَّى بِهَا
 الْأَطْفَالُ ، وَيُلَهِي بِهَا الْأَعْمَارُ ، وَإِنَّمَا هِيَ آيَاتٌ مِّنَ اللَّهِ
 يُظَهِّرُهَا عَلَىٰ أَيْدِي أَنْبِيَائِهِ حِينَ يَشَاءُ ، وَتَقُومُ بِهَا
 حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ ، فَلَا يُنْهَلُونَ بَعْدَ ظُهُورِهَا وَإِنْكَارِهَا .

٢- تَحْذِيرُ قَوْمِهِ

مِن سُوءِ الْعَاقِبَةِ

لِذَلِكَ خَافَ سَيِّدُنَا عَيْسَى عَلَيْهِمُ ، وَحَذَرَهُمْ
 مِّن سُوءِ الْعَاقِبَةِ ، وَنَهَاهُمْ عَنِ آمْتِحَانِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَهُوَ
 أَعْلَىٰ وَأَجَلُّ مِّنْ ذَلِكَ .

٢١- الْحَاحُ وَإِضْرَافُ

وَلَكِنَّ الْحَوَارِيَّيْنَ تَشَبَّهُوا بِسُؤَالِهِمْ ، وَذَكَرُوا
 أَنَّهُمْ جَادُونَ فِي هَذَا السُّؤَالِ ، لَا يَقْصِدُونَ آمْتِحَانًا ، إِنَّمَا
 يُرِيدُونَ أَطْمِئِنَانًا ، وَلِيَكُونَ ذَلِكَ ذِكْرًا لِلْأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ ،

وَقِصَّةٌ تُحْكِي وَتُرْوَى عَلَى مَرَّ الْأَيَّامِ ، فَتَكُونُ دَلِيلًا
عَلَى صِدْقِ هَذَا الدِّينِ ، وَمَنْزِلَةِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَوَّلِينَ ،
وَالْحَوَارِيِّينَ الصَّادِقِينَ .

٢٢- الْقُرْآنُ يُحْكِي الْقِصَّةَ

وَدَعُوا الْقُرْآنَ يُحْكِي هَذِهِ الْقِصَّةَ :

إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ
يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ، قَالَ :
اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٥ قَالُوا : نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا
وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَقْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا
مِنَ الشَّاهِدِينَ ٥ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ
عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا
وَآيَةً مِنْكَ ٥ وَأَنْزَلْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ٥ قَالَ اللَّهُ
إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ ٥ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ
عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ٥

٢٣ - الْيَهُودُ يُجَاوِلُونَ التَّخَلُّصَ مِنْ سَيِّدِنَا عِيسَى

وَعِيْلَ صَبْرُ الْيَهُودِ ، وَفَاضَتْ كَأْسُ عِدَائِهِمْ
وَعِنَادِهِمْ ، فَأَرَادُوا التَّخَلُّصَ مِنْ سَيِّدِنَا عِيسَى ، فَرَفَعُوا
قَضِيَّتَهُ إِلَى الْحَاكِمِ الرُّومِيِّ وَقَالُوا : إِنَّهُ رَجُلٌ ثَائِرٌ قَوْضَهَوِيٌّ
مَرَقَ مِنْ دِينِنَا ، وَاسْتَهْوَى شَبَابَنَا ، فَفْتِنُوَاهُ ، وَفَرَّقَ
أَمْرَنَا ، وَسَفَّهَ أَحْلَامَنَا ، وَشَفَلَ بَالَنَا .

٢٤ - أُسْلُوبُ النَّاقِمِينَ وَالسِّيَاسِيِّينَ

وَهُوَ خَطْرٌ عَلَى الدَّوْلَةِ ، لَا يَخْضَعُ لِنِظَامٍ ، وَلَا
يَتَّقِي دُ بَقَانُونَ ، وَلَا يُعْظَمُ عَظِيمًا ، وَلَا يُقَدَّسُ قَدِيمًا ،
وَهُوَ رَجُلٌ ثَوْرِيٌّ ، إِذَا لَمْ يَكْفِ شَرُّهُ فَإِنَّهُ يَتَّفَاقِمُ ، وَلَا
تُسْتَضْعَرُ الشَّرَارَةُ مَهْمَا كَانَتْ تَافِهَةً .

٢٥ - مَكْرُودَهَاؤُ

وَكَانَ كَلَامًا تَمَلُّوْا بِالْمَكْرِ وَالذَّهَاءِ ، مَضْبُوعًا

بِالصَّبْغَةِ السِّيَاسِيَّةِ ، وَكَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ الْجَانِبَ الدِّيْنِيَّ
لَا يُشِيرُ الْحُكَّامَ وَلَا يُهَيِّجُهُمْ ، فَقَدْ كَانَ مِنْ سِيَاسَتِهِمْ
أَنْ لَا يَتَدَخَّلُوا فِي أُمُورِ الْيَهُودِ الدِّيْنِيَّةِ ، وَلِذَلِكَ خَلَطُوا
الْحُكْلَامَ بِالسِّيَاسَةِ .

٢٦- مُشْكَلَةٌ

وَكَانَ مِنَ الصَّعْبِ أَنْ يَتَحَقَّقَ الْحُكَّامُ الْأَجَانِبُ الْمُسْرِكُونَ
حَقِيقَةَ الْأَمْرِ ، وَيَعْرِفُوا أَعْرَاضَ الْيَهُودِ ، وَسَبَبَ عِدَائِهِمْ
لِلْمَسِيحِ ، وَكَانُوا فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ عَنِ ذَلِكَ بِالْأُمُورِ
الْإِدَارِيَّةِ ، وَلَكِنْ أَشْتَدَّ الْحَاحُ الْيَهُودِ ، وَطَالَ تَرَدُّدُهُمْ
فَأَرَادُوا التَّخْلُصَ مِنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الَّتِي أَضْبَحَتْ
حَدِيثَ الْبَلَدِ .

٢٧- سَيِّدُنَا الْمَسِيحُ

فِي الْمَحْكَةِ

وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ لَيْلَةَ السَّبْتِ
وَكَانَ الْيَهُودُ لَا يَفْعَلُونَ شَيْئًا يَوْمَ السَّنْتِ ، وَكَانَ يَوْمَ
عُطْلَةٍ وَكَفَّ عَنِ الْعَمَلِ ، فَكَانُوا حَرِيصِينَ كُلَّ الْحِرْصِ

عَلَى أَنْ يَصْدَرَ الْحُكْمُ قَبْلَ غُرُوبِ شَمْسِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ،
وَيَسْتَرْجِعُوا مِنْ أَمْرِ الْمَسِيحِ، فَيَنَامُوا هَادِي النَّبَالِ، وَ
يُضَبِّحُوا نَاعِي النَّبَالِ، لَا يُزْعِجُهُمْ شَيْءٌ.

وَقَدْ ضَمَّقَ الْحَاكِمُ بِالْقَضِيَّةِ ذُرْعًا، وَلَيْسَتْ
لَهُ فِيهَا رَغْبَةٌ وَلَا لِأُمَّتِهِ فِيهَا مَصْلَحَةٌ، وَقَدْ اخْتَشَدَ
الْيَهُودُ لِسَمَاعِ الْحُكْمِ، وَهُمْ بَيْنَ صَبَاحٍ وَمَاتِفٍ،
وَمُتَنَدِّرٍ وَمُتَهَكِّمٍ، وَالْحَاكِمُ مُتَضْبِيقٌ، وَالْوَقْتُ
قَصِيرٌ، وَالشَّمْسُ قَدْ مَالَتْ لِلْغُرُوبِ، فَأَصْدَرَ الْحُكْمَ
عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ صَلْبًا.

٢٨- الْقَانُونُ الْجِنَائِي

فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ

وَكَانَ الْقَانُونُ الْجِنَائِي فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ يُوجِبُ
أَنْ يُجْعَلَ الْمَحْكُومُ عَلَيْهِ بِالشَّنَقِ، صَلْبِيَّةً الَّذِي
يُضَلَّبُ عَلَيْهِ، وَكَانَ الْمَشْنُقُ بَعِيدًا كَمَا هِيَ الْعَادَةُ
فِي الْبِلَادِ الْمُتَمَدِّنَةِ، وَكَانَ الْجَنْعُ حَاشِدًا يَتَسَاقَطُ
بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَكَانَ رِجَالُ الشُّرْطَةِ - وَأَكْثَرُهُمْ مِنْ

الْأَجَانِبِ - مَأْمُورِينَ مُوظَّفِينَ لَا رَغْبَةَ لَهُمْ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ
وَكَانَ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ أَشْبَاهًا عِنْدَ مَنْ يَلْتَمِسُ عَلَيْهِمْ أَمْرَهُمْ،
فَلَا يُمَيِّزُونَ بَيْنَهُمْ ، شَأْنُ الْأَجَانِبِ فِي نَظَرِ الْأَجَانِبِ ، وَ
كَانَ الْوَقْتُ مَسَاءً قَدْ مَدَّ الظَّلَامَ رُواقَهُ ، وَكَانَ بَعْضُ
الْيَهُودِ وَالْمُتَحَمِّسِينَ الشُّفَهَاءِ مِنَ الشَّبَابِ يَنْهَالُونَ
عَلَى السَّيِّدِ الْمَسِيحِ ، وَيَتَدَافَعُونَ عَلَيْهِ ، يَسُبُّونَهُ ،
وَيُعَيِّرُونَهُ ، وَيُرِيدُونَ إِيْدَاءَهُ وَإِهَانَتَهُ .

٢٩- عِيسَى يَتَحَمَّلُ الْأَذَى

وَكَانَ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ لَأَغْبَا ، قَدْ أَضْنَاهُ الْجُهْدُ ،
وَطُولُ الْوُقُوفِ فِي الْمَحْكَمَةِ ، وَتَحَمُّلُ الْأَذَى ، وَكَانَ الصَّلِيبُ
ثَقِيلًا ، وَقَدْ كَلَّفَ حِمْلَهُ ، فَكَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسْرِعَ فِي
الْمَشْيِ .

٣- تَذْبِيرُ الْهِئَةِ

وَهَذَا أَمْرَ الشَّرْطِيِّ الْمُرَكَّبِ بِهِ ، شَأْنًا إِسْرَائِيلِيًّا

يَجْمَلِ الْعُودِ ، وَكَانَ أَشَدَّ زُمَلَايَهُ حَمَاسَةً ، وَأَكْثَرَهُمْ
 سَفَامَةً ، وَأَخْرَجَهُمْ عَلَى إِيْذَاءِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ ، وَ
 مُبَادَرَةٍ لَهُ ، حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ سَرِيعًا ، وَيَتَخَلَّمَنَّ مِنْ
 هَذِهِ الْمَسْئُولِيَّةِ الْمُرْهَقَةِ .

٣١- وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ

وَهَكَذَا وَجَّهَ الْمَوْكِبُ إِلَى بَابِ الْمَشْنَقِ ،
 فَتَقَدَّمَ شُرْطَةُ الْمَشْنَقِ ، وَتَسَامَوْا الْأَمْرَ مِنَ الشُّرْطَةِ
 الْمَدِينِيِّينَ ، وَرَأَوْا الشَّابَّ يَحْمِلُ الصَّبْلَ ، وَاخْتَلَطَ
 الْحَامِلُ بِالنَّائِلِ ، وَكَثُرَ التَّهَيُّجُ ، فَأَخَذَ بِيَدِ الشَّابِّ
 الْحَامِلِ لِلصَّبْلِ ، وَهُوَ لَا يَشْكُ فِي أَنَّهُ هُوَ الْمَحْكُومُ
 عَلَيْهِ بِالصَّبْلِ ، وَهُوَ يَمِيزُ وَيَضِجُ ، وَيُعْلِنُ بَرَاءَتَهُ
 وَأَنَّهُ لَا شَأْنَ لَهُ بِالْحَكْمِ وَالصَّبْلِ ، وَإِنَّمَا كَلَّفَ حَمْلَ
 الْعُودِ سُخْرَةً وَظُلْمًا ، وَشُرْطَةُ الْمَشْنَقِ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى
 ذَلِكَ ، وَلَا يَفْهَمُونَ لِقَتَهُ ، لِأَنَّهُمْ مِنَ الرُّومِ وَالْيُونَانِ
 الْأُمَّةِ الْحَاكِمَةِ .

٣٢- تَنْفِذُ حُكْمٍ

وَكُلُّ مُجْرِمٍ يَتَنَّصَلُ مِنْ جَرِمَتِهِ، وَكُلُّ مُجْرِمٍ لَهُ
صِيَاحٌ وَعَوِيلٌ، وَأَخْذُوهُ وَنَفِّذُوا فِيهِ الْحُكْمَ، وَالْيَهُودُ
وَأَقْفُونَ عَلَى بُعْدٍ، وَالْدُّنْيَا لَيْلٌ وَظِلَالٌ، وَهُمْ يَظُنُّونَ
كُلَّ الظَّنِّ أَنَّ الْمَظْلُوبَ هُوَ الْمَسِيحُ!!

٣٣- رَفَعُ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ

أَمَّا سَيِّدُنَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَقَدْ نَجَّاهُ اللَّهُ
تَعَالَى مِنْ كَيْدِ الْيَهُودِ وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ مُكْرَمًا مُطَهَّرًا مِّنْ
الَّذِينَ كَفَرُوا .

٣٤- الْقُرْآنُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْقِصَّةِ

وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ التَّهْوِيدِ:

(١) استندنا في تفاميل هذه القصة، والملابس والأجواء التي أحاطت
بها، إلى الوثائق المسيحية التاريخية والقانونية التي ظهرت ودونت في المبرالخير

«وَيَكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ۗ وَ
 قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ
 وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ
 اٰخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۗ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا
 اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۗ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۗ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۗ
 وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝» .

وَمَوْفِي السَّمَاءِ كَمَا يُرِيدُهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ، وَمَوْ
 الْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَدْ كَانَتْ وِلَادَتُهُ عَجَبًا، وَحَيَاتُهُ
 عَجَبًا، وَأَمْرُهُ مِنْ أَوْلَاهُ إِلَىٰ آخِرِهِ عَجَبٌ، حَارِقٌ لِلْعَادَةِ،
 مُثَبِّتٌ لِلْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْمُبْتَلاَةِ .

٣٥- نُزُولُ عِيسَىٰ عِنْدَ الْقِيَامَةِ

وَسَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ حِينَ يُرِيدُهُ اللَّهُ، وَيُقِيمُ
 الْحُجَّةَ عَلَىٰ مَنْ فَرَّطُوا فِيهِ وَأَفْرَطُوا، مِنَ الْيَهُودِ وَ
 النَّصَارَىٰ، وَيَنْصُرُ الْحَقَّ، وَيَكْبِتُ أَهْلَ الْبَاطِلِ، كَمَا
 أَخْبَرَ بِهِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ

وَالْأَحَادِيثُ الْمُتَوَاتِرَةُ ، وَاعْتَقَدَهُ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ عَصْرِ ،
وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ :

«وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ
مَوْتِهِ ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا» .

٣٦- بِشَارْتِهِ بِيَعْنَةُ سَيِّدِنَا

مُحَمَّدٍ ﷺ

وَلَمْ يُكْمِلْ سَيِّدُنَا الْمَسِيحُ مُهِمَّتَهُ فِي الدَّعْوَةِ
لِسَيِّدَةِ حُرَابَةِ الْيَهُودِ وَكَيْدِهِمْ لَهُ ، وَضَعْفِهِ وَقَلَّةِ أَنْصَارِهِ ،
فَوَدَّعَ النَّاسَ ، وَامْتَثَلَ أَمْرَ رَبِّهِ ، وَبَشَّرَ النَّاسَ بِرَسُولٍ
يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِ ، يُكْمِلُ مَا بَدَأَهُ ، وَيُعْتَمُّ مَا خَصَّصَهُ ،
وَبِهِ تَبَعُ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَتَقُومُ حُجَّتُهُ عَلَى خَلْقِهِ :
«وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي
رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مְبَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ ،
وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» .

٣٧- مِنَ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ إِلَى عَقِيْقَةِ غَايَةِ

وَمِنْ غَرَائِبِ تَارِيخِ الْأَدْيَانِ ، وَمِمَّا تَدْمَعُ لَهُ

الْعِيُونَ، وَتَذُوبُ لَهُ الْقُلُوبُ، أَنَّهُ حَوَّلَتْ دَعْوَةَ الْمَسِيحِ إِلَى
 التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ وَالذِّينِ السَّهْلِ السَّائِغِ الْبَعِيدِ عَنِ كُلِّ غُمُوضٍ
 وَتَعْقِيدٍ، وَتَحْرِيفٍ وَتَأْوِيلٍ بَعِيدٍ، الدَّعْوَةَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ
 وَحْدَهُ، وَالسُّؤَالَ مِنْهُ، وَالْإِلْتِجَاءَ إِلَيْهِ، وَحُبَّهُ الْخَالِصَ،
 إِلَى عَقِيدَةٍ غَامِضَةٍ، وَفَلَسَفَةٍ مُعَقَّدَةٍ، فَغَلَا فِيهِ اتِّبَاعُهُ
 وَأَطْرَوْهُ إِطْرَاءً خَرَجَ بِهِ مِنْ حُدُودِ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى حُدُودِ
 الْأُلُوهِيَّةِ؛ فَقَالُوا: «الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ». وَقَالُوا: «اتَّخَذَ
 اللَّهُ وَلَدًا». وَقَالُوا: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ». وَجَعَلُوا مِنْ
 الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْعَهْمِدِ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ،
 أُسْرَةً مُؤَلَّفَةً مِنْ ثَلَاثَةِ أَعْضَاءٍ، كُلُّهُمْ إِلَهٌ؛ فَقَالُوا:
 الرَّبُّ وَالْإِبْنُ وَرُوحُ الْقُدُسِ، وَاعْتَقَدُوا فِي مَرْيَمَ أُمَّ
 الْمَسِيحِ، وَغَامَلُوهَا بِمَا يَبْلُغُ بِهَا إِلَى دَرَجَةِ التَّقْدِيسِ
 وَالْعِبَادَةِ؛ فَقَالُوا: «أُمُّ اللَّهِ». وَشَاعَتْ لَهَا تَمَائِيلُ وَصُورُ
 فِي الْكِنَائِسِ، يَخْضَعُ لَهَا النَّصَارَى بِاللُّجُوعِ وَالِدُّعَاءِ،
 وَالتَّذْرِ وَالْإِنْجِنَاءِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ حَرَمَاتِهِ
 اعْتَقَدُوهُ، مُسْتَبْشِعًا مَا فَعَلُوهُ:

« مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ ۖ قَدْ خَلَتْ
 مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ وَأُمُّهُ صِدْقَةٌ ۖ مَا كَانَا يَأْكُلَنِ الطَّعَامَ ۗ
 أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۝ قُلْ
 اتَّعَبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا
 وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ » .

٣٨- عَيْسَىٰ يَدْعُو إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ

وَقَدْ دَعَا كَثِيرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ
 وَحْدَهُ ۖ فَجَاءَهُ مِنْ قَوْلِهِ فِي الْإِنْجِيلِ : « مَكْتُوبٌ لِلرَّبِّ
 إِلَهِكَ تَسْجُدُ ، وَلَهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ ، (متى ١٠: ٤) وَقَوْلُهُ :
 « مَكْتُوبٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ ، وَلَهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ ، (لوقا ١٠: ٤)
 وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

« وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ
 وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ
 وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا
 كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ۝ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ

وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَا مُرَكَّمٍ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝

٣٩- الْقُرْآنُ يُبْرِحُ بِدَعْوَةِ عِيسَى

وَقَدْ نَقَلَ الْقُرْآنُ - وَهُوَ الْكِتَابُ الْمَصَدَّقُ

لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْمُهَيَّمِينَ عَلَيْهِ - مِنْ إِعْلَانِ سَيِّدِنَا

عِيسَى بِالتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ ، فِي أُسْلُوبِ

صَبْرٍ وَوَاضِحٍ لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ :

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ

ابْنُ مَرْيَمَ ، وَقَالَ الْمَسِيحُ : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا

اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ

اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

أَنْصَارٍ ۝

٤- مَنزِلَةُ التَّوْحِيدِ فِي دَعْوَتِهِ

وَقَالَ فِي أُسْلُوبِ جَمِيلٍ يَلْبِغُ يَتَدَوَّقُهُ كُلُّ

مَنْ عَرَفَ مَنزِلَةَ التَّوْحِيدِ وَسَيَرَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِينَ ،

وَمَا طُيُبُوا عَلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْخُضُوعِ لَهُ ،
وَالرَّهْبَةِ مِنْهُ :

وَلَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ
وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ، وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ، فَأَمَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ
مِنْ فَضْلِهِ ، وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا
فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا

٤١ - مَشْهَدٌ رَائِعٌ

مِنْ مَشَاهِدِ الْقِيَامَةِ

وَقَدْ حَمَرَهُ الْقُرْآنُ فِي بِلَاغَتِهِ وَإِعْجَازِهِ ،
مَشْهَدًا مِنْ مَشَاهِدِ الْقِيَامَةِ الرَّائِعَةِ ، يَتَّبِعُ فِيهِ
سَيِّدُنَا عِيسَى عَمَّا تَقَوْلُهُ النَّاسُ فِيهِ ، وَعَامَلُوهُ بِهِ ،
وَيُوضِحُ دَعْوَتَهُ فِي قُوَّةٍ وَصِدْقٍ ، وَيُؤَيِّدُهُ فِي هَذِهِ
الْقَضِيَّةِ الْفُلَاةِ مِنْ أُمَّتِهِ ، وَأَنْتُمْ هُمْ الْمَسْئُولُونَ

وَخَدَهُمْ عَنْ هَذِهِ الْجَرِيمَةِ ، اَقْرُؤُوا الْقُرْآنَ ، وَاسْتَشْعِرُوا
جَلَالَ التَّوْقِفِ وَرَوْعَةَ الْمَشْهَدِ :

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ : يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ
لِلنَّاسِ : اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ء قَالَ :
سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ء إِنْ
كُنْتُ قُلْتُهٗ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ء تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ
مَا فِي نَفْسِكَ ء إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ء مَا قُلْتُ لَهُمْ
إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ : أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ء وَكُنْتُ
عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَادُمْتُ فِيهِمْ ء فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ
الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ء وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ء إِنْ
تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ ء وَإِنْ تَعْفُو لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ء قَالَ اللَّهُ : هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ
صِدْقُهُمْ ء لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا ء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ء ذَلِكَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ء لِلَّهِ مَلِكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ء وَمَوْ
عَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ء ٥٠

٤٢ - من عقيدة غامضة إلى وثنية سافرة

وَأَنْتَقَلَ دُعَاةُ الْمَسِيحِيَّةِ إِلَى أَوْرُبَا بِدِافِعٍ مِنْ
عِنْدِهِمْ (١) وَقَدْ شَاعَتْ فِيهَا الْوَثْنِيَّةُ السَّافِرَةُ مِنْ زَمَانٍ ،
وَعَاصَتْ فِيهَا إِلَى الْأَذْقَانِ ، فَكَانَ الْيُونَانُ وَثْنِيَّينَ ، وَقَدْ
تَصَوَّرُوا صِفَاتِ اللَّهِ فِي شَكْلِ آلِهَةٍ سَثَى ، نَحَتُوا لَهَا تَمَائِيلَ ،
وَبَنَوْا لَهَا مَعَابِدَ وَمِيَاكِلَ ؛ فَلِلرِّزْقِ إِلَهٌ ، وَلِلرَّحْمَةِ إِلَهٌ ،
وَالْقَهْرِ إِلَهٌ ، وَكَانَتِ الرُّومِيَّةُ عَرِيقَةً فِي الْوَثْنِيَّةِ وَالنَّمَسْكِ
بِالْخُرَافَاتِ ، وَقَدْ اِمْتَزَجَتِ الْوَثْنِيَّةُ بِلَحْمِهَا وَدَمِهَا ،
وَجَرَتْ مِنْهَا مَجْرَى الرُّوحِ وَالذَّمِّ ، وَكَانَ الرُّومَانُ يَبْدُونَ
إِلَهَةَ سَثَى ، فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِمُ النَّصْرَانِيَّةُ ، وَتَنَحَّصَرَ
قِسْطِنَاطِينَ الْكَبِيرَ سَنَةَ ٣٠٦ م ، وَاخْتَضَنَ الدِّينَ الْمَجِيدَ
وَتَبَنَاهُ وَجَعَلَهُ دِينَ الدَّوْلَةِ الرَّسْمِيَّ ، بَدَأَتِ النَّصْرَانِيَّةُ
تَأْخُذُ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ مِنَ الْعَقَائِدِ الْوَثْنِيَّةِ وَالتَّقَالِيدِ
الرُّومِيَّةِ وَالْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ ، وَتَدْنُو إِلَيْهَا رُونِدَا رُونِدَا ،

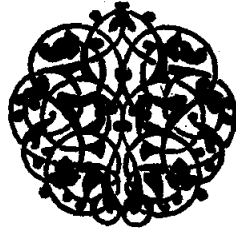
(١) لأن للمسيح لم يأمرهم بذلك ؛ فقد مبرح بأنه أرسل لخراف إسرائيل الجبالة .

وَهَبَّارَتْ تَفَقُّدُ أَصَالَتَهَا التَّبَوُّيَّةَ ، وَبَسَاطَتَهَا الشَّرْقِيَّةَ ،
 وَحَمَاسَتَهَا التَّوَجُّيدِيَّةَ ، وَدَخَلَ فِيهَا بَعْضُ الْمُتَأَفِّقِينَ
 فَطَلَعُوا بِعَقَائِدِهِمُ الْقَدِيمَةَ وَذَوَّقُوا الْوُثْنِيَّ ، وَنَشَأَ
 مِنْ ذَلِكَ دِينٌ جَدِيدٌ ، تَتَجَلَّى فِيهَا النَّصْرَانِيَّةُ وَالْوُثْنِيَّةُ
 سَوَاءً بِسَوَاءٍ .

وَكَذَلِكَ سَارَتْ النَّصْرَانِيَّةُ الزَّاحِفَةُ الْفَاتِحَةُ
 عَلَى دَرْبِ غَيْرِ الدَّرْبِ الَّذِي سَلَكَ الْمَسِيحُ بِهَا عَلَيْهِ ،
 وَدَعَا إِلَيْهِ ، وَكَانَتْ كَسَالِكِ حَطْرِيْقٍ يَضِلُّ عَنِ الطَّرِيقِ
 - عَنْ قَصْدٍ أَوْ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ - فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ - ،
 فَيُؤَاصِلُ سَنِيْرَهُ عَلَى حَطْرِيْقٍ لَا يَلْتَمِئُ بِالطَّرِيقِ الْأَوَّلِ
 إِلَى الْأَخِيرِ .

وَلِهَذِهِ الْحِكْمَةِ الدَّقِيقَةِ الَّتِي لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا مَنْ
 قَرَأَ تَارِيخَ هَذِهِ الدِّيَانَةِ ، وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِالضَّلَالِ حِينَ
 وَصَفَ الْيَهُودَ بِالْمَقْضُوبِيَّةِ ، فَقَالَ عَلَى لِسَانِ الْمُسْلِمِينَ:
 «إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ
 أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۝ غَيْرِ الْمَقْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝»

وَكَاثَتْ فِي ذَلِكَ مَأْسَاءُ لِأُورُبَّا ، وَمَأْسَاءُ لِلْإِنْسَانِيَّةِ
 الَّتِي قَادَتْهَا أُورُبَّا زَمَانًا طَوِيلًا ، وَلَا تَزَالُ مُسَيِّطِرَةً عَلَيْهَا
 وَمُتَحَكِّمَةً فِيهَا . «وَاللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ» .



فهرس المطور المنبع

رقم الصفحة

الموضوع

مقدمة

التنبیه

قصته سيدنا شعيب عليه السلام

- | | | | |
|---|-------|-------|--------------------------------|
| ١ | | | (١) نظرة على القصص السابقة |
| ٢ | | | (٢) قصة هيراج بين الحق والباطل |
| ٣ | | | (٣) والى مدين أخاهم شعيبا |
| ٤ | | | (٤) دعوة شعيب عليه السلام |
| ٥ | | | (٥) أب رحيم ومعلم حكيم |
| ٦ | | | (٦) جواب قومه |
| ٧ | | | (٧) شعيب يشرح دعوته |
| ٨ | | | (٨) مانفقه كثيرا مما تقول |
| ٩ | | | (٩) شعيب يتعجب من قومه |

رقم الصفحة	الموضوع
٨	(١٠) السهم الأخير
٨	(١١) حجة قاطعة
٩	(١٢) بل قالوا مثلما قال الأولون
٩	(١٣) بلغ الرسالة وأدى الأمانة
	قصة سيدنا داود وسيدنا سليمان عليهما السلام
١١	(١) القرآن يتحدث عن آلاء الله
١٢	(٢) نعمة الله على داود
١٣	(٣) شكروا على هذه النعمة
١٣	(٤) نعمة الله على سليمان
١٤	(٥) فقه دقيق وعلم عميق
١٥	(٦) سليمان يعرف لغة الطير والحيوان
١٦	(٧) قصة هدم سد
١٧	(٨) سليمان يدعو ملكة سبأ إلى دينه
١٨	(٩) الملكة تستشير أركان دولتها
١٩	(١٠) هدية مساومة

الموضوع	رقم الصفحة
(١١) الملكة تأتي خاضعة	١٩
(١٢) قصر عظيم من زجاج	٢٠
(١٣) وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين	٢١
(١٤) القرآن يحكى قصة سليمان	٢٢
(١٥) وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا قصة سيدنا أيوب وسيدنا يونس عليهما السلام	٢٥
(١) قصة أيوب نمط آخر من القصص	٢٦
(٢) صبر أيوب	٢٧
(٣) محنة ومنحة	٢٨
(٤) قصة يونس وحكمتها	٢٨
(٥) يونس بين قومه	٢٩
(٦) يونس في بطن الحوت	٣٠
(٧) واستجاب الله دعاه	٣١
قصة سيدنا زكريا عليه السلام	
(١) دعاء زكريا الولد صالح	٣٢

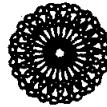
رقم المصنف

الموضوع

٣٣	(٢) نذر امرأة عمران
.....	(٣) قالت رب إني وضعتها أنثى
٣٤	(٤) عناية الله بالفتاة المباحة
٣٥	(٥) إلهاماً من الرب الرحيم
٣٦	(٦) بشارة ولد
٣٧	(٧) آيات الله وقدرته
.....	(٨) يحيى يضطلع بأعباء الدعوة
قصة سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام			
٣٩	(١) قصة خارقة للمادة
٤٠	(٢) أمر كله عجب
.....	(٣) خضوع اليهود للأسباب الظاهرة
٤٢	(٤) استخفاف وتمرد
٤٣	(٥) نعمة الله على بني إسرائيل
.....	(٦) نكران للجميل
٤٤	(٧) زهو ودلال

الموضوع	رقم الصفحة
(٨) ولادة المسيح تتحدى المحسوس المعروف	٤٤
(٩) معجزات للمسيح	٤٥
(١٠) دعوته إلى الدين وتكذيبه اليهود	٤٦
(١١) اليهود ينصبون له الحرب	٤٧
(١٢) قصة عيسى في القرآن	٤٨
(١٣) سيرته ودعوته في القرآن	٤٩
(١٤) صراع قديم	٥٠
(١٥) إيمان عامة الناس وفقرائهم	٥١
(١٦) نحن أنصار الله	٥٢
(١٧) سياحته ودعوته	٥٣
(١٨) الحواريون يطلبون مائدة السماء	٥٤
(١٩) سوء أدب	٥٥
(٢٠) تحذير قومه من سوء العاقبة	٥٦
(٢١) إلحاح وإصرار	٥٧
(٢٢) القرآن يحكي القصة	٥٨

رقم الصفحة	الموضوع
٦٤	(٣٨) عيسى يدعو إلى عبادة الله وحده
٦٥	(٣٩) القرآن يصحح بدعوة عيسى
٦٥	(٤٠) منزلة التوحيد في دعوته
٦٦	(٤١) مشهد رائع من مشاهد القيامة
٦٨	(٤٢) من عقيدة غامضة إلى وثنية سافرة
٧١	فهرس المواضيع



پاکستان میں کچھ پبلشرز ہمارا ادارہ (مجلس نشریات اسلام کراچی) کی درسی کتب غیر قانونی طور پر شائع کر رہے ہیں، جو ایک قانونی اور اخلاقی طور پر جرم ہے ہم یہ خط شہوت کے طور پر شائع کر رہے ہیں کہ درسی کتب کی اجازت صرف مجلس نشریات اسلام کراچی کو ہے۔

Phone 22948



مکتبہ دارالعلوم ندوۃ العلماء لکھنؤ

NADWA BOOK DEPOT

P. O. Box 93, LUCKNOW.

No. -----

Date 3/3/77
۱۲ ربیع الثانی ۱۳۹۷ھ

مکتبہ دارالعلوم ندوۃ العلماء بعض ایک تجارتی ادارہ ہیں بلکہ ہندوستان کی تعلیم در شاہ دارالعلوم ندوۃ العلماء لکھنؤ کا ایک اشاعتی مرکز ہے۔ یہاں کی تمام درسی کتب صدقہ فقہ ابنی، القرآن الراشدہ اور رسم اللزہ و دیگر کتب کی اشاعت کی اجازت اشک پاکستان کے کسی بھی تاجر کو نہیں دیا گئی تھی، لیکن بعض اہم وجوہات کی بنا پر اسکی طباعت کے مکمل اختیارات جناب مولانا فضل الرحمن بہرہ پور ایئر میں مذہبیات اسم ناظم آباد کراچی کو دیدئے گئے ہیں۔ انکے علاوہ کسی بھی تاجر کو مکتبہ کی کتابوں کی طباعت کی قطعاً اجازت نہیں ہے۔ مسلمانوں کا اخلاقی و فرائضی ہونا ^{السلام} اور دینی ادارہ (تعاون فرمائیں) اور اپنی صیبت ضرورت کتب ایلا سدرج ذیل پتہ سے رابطہ قائم کرے۔

محمد علی ندوی

منیجر مکتبہ دارالعلوم ندوۃ العلماء
لکھنؤ